

## أثر الاضطرابات السياسية على الحياة العامة في مدينة ينبع في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري

د . مها بنت سعيد اليزيدي\*

الموقع الجغرافي لمدينة ينبع وأهميته الإستراتيجية :

لمدينة ينبع الواقعة على طريق القوافل التجارية بين الحجاز والشام شهرة واسعة<sup>١</sup>، إذ تعد من مدن الحجاز المهمة<sup>٢</sup>، والتي عرفت بأنها ميناء قديم نحو سنة ٢٠ ق . م ، فلقد استخدمه الرومان عند إبحارهم من اليمن متجهين إلى مصر<sup>٣</sup> ، وقد أكد أهمية ينبع بالنسبة لمنطقة الحجاز أبو بكر أحمد بن هارون في أوائل القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي بقوله : " ينبع من أعظم مدن الحجاز إلا أنها صغيرة ، وهي بندر التجار ، ومحل المكاسب "<sup>٤</sup>

وينبع بالفتح ثم السكون والباء الموحدة المضمومة ، هي فعل مضارع نَبَعَ من يُنْبَعُ الماء، وقد أخذ اسمه من الفعل المضارع لكثرة يَنَابِعِهَا"<sup>٥</sup>، قال الشريف سلمه بن عياش الينبعي : عددت بها مائة وسبعين عيناً<sup>٦</sup> ، وذكرها البكري بقوله : " عن يمين رضوى<sup>٧</sup> ، لما كان منحدرًا من المدينة إلى البحر ، وهي قرية كبيرة و بها عيون عذاب غزيرة "<sup>٨</sup> .

وفي وصف ينبع وموقعها يقول الجزيري : " ينبع الربع الرابع من أرباع الحجاز الأول من القاهرة إلى العقبة والثاني من العقبة إلى الأزم ،

\*أستاذ مساعد - تاريخ حديث - جامعة الجوف

١ عبد الله غازي ، إفادة الأنام بذكر بلد الله الحرام ، ج٦ ، ص ٣٣٠ ؛ سعد الرفاعي ، ينبع بين رحلتين ، ص ٢٨٧ .

٢ حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ١٦ .

٣ دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، لعدد من المؤرخين والجغرافيين - ضمن أبحاث الندوة العالمية الأولى التي نظمتها كلية الأدب - جامعة الملك سعود ، الرياض ، في الفترة من ١٥-٢١ محرم عام ١٤٠١ هـ .

٤ نقلا عن حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ٣١ .

٥ الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٥١٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نبع ، ج ٨ ، ص ٣٤٥ .

٦ الفيروز أبادي ، المغانم المطابة في معالم المرطابة ، ص ٤٤٠ .

٧ جبل صغير يتميز بالارتفاع ، ويقع في الشمال الشرقي منها ويتوالي منه عدة جبال تقع غرب بدر . انظر : القلقشندی ، صبح الأعشى في صناعة الإنشى ، ج ١٢ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ؛ شارل ديبييه ، رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

٨ البكري ، معجم ما أستعجم ، ج ١ ، ص ٦٥٦

والثالث من الأزلم إلى ينبع، والرابع من ينبع إلى مكة<sup>٩</sup>، ويضيف الفيروز أبادي وصفاً لها بأنها " أرض واسعة تقع غرب المدينة على سبع مراحل " <sup>١٠</sup>، وتقع على خط عرض (٦-٢٤) شمالاً، وخط طول (٣ - ٣٨) شرقاً<sup>١١</sup>.

وذكر البلادي أن " ينبع تعتبر مدينة وواد، وكلاهما يقع غرب المدينة المنورة، أما الوادي فهو ينبع النخل<sup>١٢</sup>، وتسيل المياه إليه من جبال الأجرد، والأشعر<sup>١٣</sup>، ومن ثم يدفع في البحر الأحمر، وأن وفرة المياه والعيون أعطى المنطقة ذلك (الاسم)، إضافة إلى كثرة المزارع، والمحاصيل الزراعية المتعددة ووفرة المياه وخصوبة التربة<sup>١٤</sup>، وقد سبق أن وصفها ليون روش في (رحلته) عام ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م بقوله: " ينبع النخل أو ينبع البر استراحنا فيها استراحة ممتعة في ظلال نخل بديع " <sup>١٥</sup>.

ولذلك أضيفت كلمة البحر للتفريق بين ينبع النخل ونبع الميناء (ينبع البحر)، والذي تأتي أهميته من كونه الميناء الأساسي للمدينة المنورة<sup>١٦</sup>، والميناء الثاني في الحجاز<sup>١٧</sup>، وهما لا تختلفان في القبائل والعادات والتاريخ المشترك، وتمثل ينبع النخل الجزء الأعلى من ينبع المدينة، ونبع البحر تشكل الجزء الأدنى منها، وهي جزء أصل من ينبع النخل<sup>١٨</sup>.

ذكر الفاسي ذلك بقوله: " ينبع بلد حجازي على ساحل البحر الأحمر من جهة الشمال الغربي لمكة المكرمة ويقال لها ينبع النخل " <sup>١٩</sup>، ولأهميتها الإستراتيجية قال عنها توماس لورانس الذي مر بها عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م: " فقد كان موقع البلدة استراتيجياً، حيث تحيط بها مياه البحر من جانبيين، وهي في موقع مرتفع نحو عشرين قدماً عن سطح البحر، والجانبان الآخران

<sup>٩</sup>درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج، ج ١، ص ٥٣٥.

<sup>١٠</sup>المغامم المطابة، ص ٤٤٠.

<sup>١١</sup>محمد الرويثي، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٢٩٨.

<sup>١٢</sup>تبعد ٥٠ ميل تقريباً شرقي ميناء ينبع. انظر: صالح السيد، ملامح من تاريخ ينبع، ج ٢، ص

٢٧٥-٢٨٥

<sup>١٣</sup>انظر: الحسن الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٦.

<sup>١٤</sup>نسب حرب، ص ٣٣٨.

<sup>١٥</sup>اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، ج ١، ص ٥٤.

<sup>١٦</sup>محمد باشا صادق، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة، ص ٢٩؛ عثمان حافظ، صور وذكريات

عن المدينة المنورة، ص ٢٩٩.

<sup>١٧</sup>حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٣٧.

<sup>١٨</sup>الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٩٧؛ محمد حسين الحارثي، الثغور البحرية الحجازية، ص ٩٤

<sup>١٩</sup>شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج ٢، ص ٤١٥.

منها يشرفان على امتدادات رملية منبسطة لعدة أميال ، وأمامها أراض  
مكشوفة ... " ٢٠ .

وينبع النخل مدينة قديمة يعود تاريخها لأكثر من ألفي عام ، تتكون  
من مجموعة من القرى التي اشتهرت قديماً كأحد المدن التجارية<sup>٢١</sup> ، يقع فيها  
قرية سويقه<sup>٢٢</sup> ، وهي أكبر قرأها ويعقد فيها ما يعرف بسوق الاثنين ، والذي  
كان ملتقىً تجارياً للقوافل والحج<sup>٢٣</sup> .

وقيل في سر تسميتها ينبع النخل أن ذلك بسبب كثرة نخيلها<sup>٢٤</sup> ، وهي  
تشكل منطقة واسعة ، عبارة عن عدة قرى متوالية ، وكأنها عقد يمتد من  
الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي<sup>٢٥</sup> ، يؤكد ذلك أيوب صبري حينما قال : "   
إن سبب تسمية تلك القرى في مجموعها ينبع النخل هو وفرة مياهها  
وغزارته"<sup>٢٦</sup>

ويرى بوركهارت الذي زار ينبع عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م أن "   
العائلات المحترمة في ينبع لها منزل ريفي في الوادي المثمر الخصب المدعو  
"ينبع النخل" أو " قرأ ينبع"<sup>٢٧</sup> ، ويؤيده شارل ديبويه الذي مر بينبع عام  
١٢٧١هـ / ١٨٥٤م بقوله : " ينبع النخل وهي تقع في واد كبير مزروع بنخيل  
التمر والقمح ، ويملك فيها السكان الأغنياء حدائق ومنازل ريفية يذهبون إليها  
.... ويقضون فيها شهراً في السنة أبان موسم التمر ، وأن في ذلك الوادي  
الواقع في أسفل الجبال عدداً من القرى يقارب أثنى عشرة قرية"<sup>٢٨</sup> .  
وهي تبعد مسافة ست ساعات<sup>٢٩</sup> باتجاه الشرق وبانحراف  
مقداره ربع درجة نحو الشمال الشرقي لينبع البحر<sup>٣٠</sup> ، وبمسافة

<sup>٢٠</sup> أعمدة الحكمة السبعة ، ص ١٥١ .

<sup>٢١</sup> انظر أسماء هذه القرى في محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي بن طالب ﷺ ، ص ٣

<sup>٢٢</sup> سويقه : تصغير سوق للبيع والشراء ، وهي سكنى لآل علي بن أبي طالب ﷺ ، انظر : الحموي ،  
معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ .

<sup>٢٣</sup> بوركهارت ، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٤٩ ؛ عبد الكريم الخطيب ، تاريخ ينبع ، ص ١٦٢ .

<sup>٢٤</sup> إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج ٢ ، ص ٩٥ ؛ عاتق البلادي ، قلب الحجاز ، ص ١٦١ .

<sup>٢٥</sup> سيد بكر ، الملامح الجغرافية لأرواب الحجيج ، ص ١٤٠ .

<sup>٢٦</sup> موسوعة مرآة الحرمين ، ج ٥ ، ص ١٤٧ .

<sup>٢٧</sup> رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٤٩ .

<sup>٢٨</sup> رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من ق ١٩م ، ص ١٥٨ .

<sup>٢٩</sup> سنوك هورخرونيه ، صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ج ٢ ، ص ٦٤٤ ؛ أيوب صبري ، موسوعة

مرآة الحرمين ، ج ٥ ، ص ١٤٦ .

<sup>٣٠</sup> دومنجو باديا ، رحلة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٧ .

١٥٠ كم عن المدينة المنورة<sup>٣١</sup>، وتعتبر من المدن الداخلية والبعيدة عن الساحل بين شعاب الجبال وجنابات الأودية و خيوفها، و أينما توجد مصادر المياه تنتثر القرى، لذلك كانت واحة واسعة خصبة، فقد بلغ عدد العيون بها تسعة وتسعين عيناً<sup>٣٢</sup>.

لذلك وصفها النابلسي بأنها " قرية كبيرة ذات نخل كثير ومياه غزيرة"<sup>٣٣</sup>، ويصف ماءها محمد صادق حينما زارها عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٢م بقوله: "وماؤها صاف كالزلازل"<sup>٣٤</sup>.

ارتبطت ينبع النخل بعلي بن أبي طالب ؑ، حيث أقطع النبي ﷺ أربع أرضين، وأقطعه عمر بن الخطاب ؓ ينبع مضافة إلى غيرها<sup>٣٥</sup>، وبعضها آلت إليه ملكيتها بالشراء<sup>٣٦</sup>، وبأرضها ارتبطت بعض غزوات الرسول ﷺ<sup>٣٧</sup>، وقد تعددت المصادر التي كتبت عن ذلك.

وهكذا تتضح الأهمية الاقتصادية لينبع النخل، حيث مواردها وأسواقها، بل ومرور قوافل الحج بها، فهي تعتبر المنزل الرابع والعشرين من منازل الحاج إلى مكة<sup>٣٨</sup>، وهي محطة مهمة في طريق الحاج المصري<sup>٣٩</sup>.

أما ينبع البحر فهي تقع شرق البحر الأحمر<sup>٤٠</sup>، وغرب ينبع النخل على خط عرض ٢٤ درجة شمالاً، وعلى خط طول ٣٦ درجة شرقاً، وتقع في الناحية الغربية للمدينة المنورة، وعلى بعد ٢٤٥ كم منها، وتبعد عن مكة المكرمة حوالي ٥٣ ساعة<sup>٤١</sup>، كما أنها تقع عند ثلاثة أرباع المسافة من القاهرة إلى مكة المكرمة بطريق القوافل<sup>٤٢</sup>.

<sup>٣١</sup>سيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٤٠.

<sup>٣٢</sup>البكري، معجم ما أستعجم، ج ٢، ص ٦٥٦.

<sup>٣٣</sup>الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، ص ٣١٩.

<sup>٣٤</sup>دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة، ص ١٣٠.

<sup>٣٥</sup>الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٥٠؛ تنضيب الفايد، صيد الذاكرة الباصرة، ص ٢٥١.

<sup>٣٦</sup>حيث اشتراها من عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، ثم آلت إلى أحفاده ؑ، انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٦٥٦.

<sup>٣٧</sup>انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٧٠ وما بعدها.

<sup>٣٨</sup>عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٣١٩.

<sup>٣٩</sup>صالح السيد، ملامح من تاريخ ينبع، ج ٢، ص ٢٧٥ - ٢٨٥.

<sup>٤٠</sup>أيوب صدري، موسوعة امرأة الحرمين، ج ٥، ص ١٤٦؛ إبراهيم رفعت، امرأة الحرمين، ج ٢، ص ١٣.

<sup>٤١</sup>أيوب صدري، المصدر السابق.

<sup>٤٢</sup>محمد الشريف، المختار من الرحلات الحجازية، رحلة بيرتون، ج ١، ص ٤٠٨.

لقد شيدت المدينة على ساحل رملي مستو من البحر الأحمر<sup>٣</sup>، وفي الجزء الشمالي من خليج عميق تحميه من الرياح الجنوبية والغربية جزيرة واقعة في مدخل الخليج<sup>٤</sup>، تسمى جزيرة العباسي<sup>٥</sup>. وقد وصفها الرحالة دومنجو باديا عندما زارها عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م بقوله: "أما ينبع البحر فإنها تقع في سهل فسيح ومن السهل معرفة أن موقعها يشكل مساحة انسحب منها البحر في زمن ليس بالبعيد عن عصرنا الحاضر فمد البحر في حالة ارتفاعه يصل إلى المحيط الداخلي للسور ويغرق قسماً من المدينة"<sup>٦</sup>.

إن ينبع البحر نشأت عند نقطة التقاء على ساحل البحر الأحمر الشرقي، حيث يلتقي عندها الطريق البحري والطريق القديم، ولذلك قامت بربط مراكز الحضارات الشمالية في مصر والشام بالمناطق والمراكز الجنوبية والمتمثلة في بلاد اليمن<sup>٧</sup>، فاكتملت أهمية تجارية واقتصادية<sup>٨</sup>، وإن كانت لم تظهر كميناء إلا في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي<sup>٩</sup>، وذلك بعد اضمحلال ميناء الجار<sup>١٠</sup>، الذي كان من موانئ الحجاز المهمة على البحر الأحمر<sup>١١</sup>.

<sup>٣</sup> جبل كورتلون، رحلتى إلى مكة المكرمة، ص ١٣١؛ عبد العزيز دولتشين، الحج قيل مئة سنة، ص ١٧٦.

<sup>٤</sup> بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٨٣؛ ليون روش، اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، ج ١، ص ٥٤-٥٥.

<sup>٥</sup> وهي تقع في منتصف الطريق بين جدة والوجه. انظر: سيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٤١.

<sup>٦</sup> حالة اسباني في الجزيرة العربية، ص ٣٣٧.

<sup>٧</sup> فورستر سادليير، رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م، ص ١٢٧؛ إلهام سراج، بلاد ينبع، ص ٦٠.

<sup>٨</sup> محمد الرويثي، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٢٩٨.

<sup>٩</sup> حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٦.

<sup>١٠</sup> يقع جنوب ينبع وهو البريكة حالياً وهذا ما أكده البلادي ووضحه الخطيب حينما صحح الخطأ في أن موضع الجار هو الرايس حالياً، وقد اندثر وأضمحل لعدة أسباب: أهمها الغزو الصليبي وعدم قدرة الميناء على صد الهجمات والغارات البحرية مما أدى إلى تفرق وهروب السكان. انظر: البلادي، معجم الحجاز، ص ٢١٤؛ عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٦؛ أحمد البرادعي، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي، ص ١٠٥.

<sup>١١</sup> وقد ذكره الحموي بقوله: "الجار مدينة على ساحل القلزم بينها وبين المدينة المنورة يوم وليلية، وهي فريضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند" انظر: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠٧-١٠٨.

ابتدأت شهرة ينبع البحر من واقع أنها ميناء و ثغر للمدينة المنورة<sup>٥٢</sup>، بعد أن أختاره الأيوبيون عام ٦٢١هـ / ١٢٢٤م ميناءً رئيساً للمدينة المنورة<sup>٥٣</sup>، ثم شهدت ينبع البحر نهضة عظيمة أيام حكم المماليك الجراكسة<sup>٥٤</sup>، إلا أن الصراعات السياسية بين المماليك والأشراف في ينبع ساهمت في الحد من دور ينبع، وخاصة السنوات الأخيرة من حكم المماليك في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي<sup>٥٥</sup>.

يعتبر ميناء ينبع البحر المرسي الطبيعي الذي كانت تمارس فيه حرفة الصيد<sup>٥٦</sup>، وترسو فيه السفن بعيداً عنه بحوالي ١٥٠م، ثم يتم الانتقال إليه عن طريق المراكب الصغيرة، وذلك لصعوبة الوصول إلى الساحل<sup>٥٧</sup>، لإحاطته بالكثير من الصخور المرجانية التي تعيق رسو السفن الكبيرة فيه<sup>٥٨</sup>. يؤكد ذلك كارستن نيبور الذي زار ينبع عام ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م فقال: "أما مدخل المرسي فكان ضيقاً لكنه آمن"<sup>٥٩</sup>، وقد وصفه وصفاً دقيقاً الرحالة جيل كورتلون حينما زاره عام ١٣١١هـ / ١٨٩٣م بقوله: "تتقدم السفن ببطء بين الشعاب المرجانية التي تنتشر على غرار مدينة جدة، في هذا الساحل الصعب وهي تحيط بالممر الضيق الوحيد المؤدي إلى الرصيف"<sup>٦٠</sup>.

الجدير بالذكر أن ينبع البحر كانت تعاني من صعوبة تواجد المياه العذبة فيها<sup>٦١</sup> ولكن أمكن التغلب على هذه المشكلة ببناء صهاريج لجمع مياه الأمطار<sup>٦٢</sup>، وقد وصف هذه الصهاريج عبد العزيز دولتشين حينما مر بينبع عام

<sup>٥٢</sup> محمد البتوني، الرحلة الحجازية، ص ١١٢.

<sup>٥٣</sup> حيث اشتروه من الأشراف الحسينيون، ثم استعادوه وظلت السلطة في ينبع البحر تنتقل بين الأيوبيين والأشراف والمماليك. أنظر: المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ٣٣٧؛ حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٩ - ٥٠.

<sup>٥٤</sup> آمنة جلال، طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، ص ٦٤.

<sup>٥٥</sup> علي السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٩٠ - ١٩١.

<sup>٥٦</sup> حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ١٢٢؛ عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ٢٨ - ٢٩.

<sup>٥٧</sup> فورستر سادلير، رحلة عبر الجزيرة العربية، ص ١٢٧؛ عبد العزيز دولتشين، الحج قبل مئة سنة، ص ١٧٧.

<sup>٥٨</sup> دومنجو باديا، رحلة أسباني في الجزيرة العربية، ص ٣٣٨؛ موريس تاميزيه، رحلة في بلاد العرب الحجاز، ص ٥٨.

<sup>٥٩</sup> أحمد محمد، الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ج ٣، ص ٥١.

<sup>٦٠</sup> رحلتي إلى مكة المكرمة، ص ١٣١.

<sup>٦١</sup> شارل ديديه، رحلة إلى الحجاز، ص ١٥٧؛ أيوب صبري، موسوعة مرآة الحرمين، ج ٥، ص ١٤٦.

<sup>٦٢</sup> محمد صادق، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة، ص ١٣٠.

١٣١٦هـ / ١٨٩٨م بقوله : " وهنا يستعملون ماء المطر ولأجل جمعة بيني السكان ضمن حدود المدينة أقبية غير كبيرة سعة الواحد منها ٥ - ٨ ساجينات مكعبة مع مبنى في أعلى القبو بشكل عنبر في أحد جدران العنبر يتركون قرب سطح الأرض فتحة ينسكب منها في القبو ماء المطر السائل في الشوارع "٦٣ .

وعلى ذلك يعلق بيرتون في (رحلته) عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م " ولينبع أن تتباهي على معظم مدن الحجاز في أمر واحد ، إذ يمكن لأهل ينبع أن يقدموا ماء المطر العذب الفاخر الذي يجمعونه من بين التلال حيث يتجمع في خزانات ويحمله على ظهر الإبل إلى البلدة "٦٤ ، كذلك يعتمدون على المياه الجوفية من الآبار المتعددة التي تقع في الجهة الشرقية من المدينة وتعرف بالمسيحي ٦٥ .

وهكذا تتضح أهمية ينبع البحر ، حيث تمثل الشريط الساحلي الممتد على الواجهة المائية التي من خلالها تطل المدينة على خليج ينبع ، والذي يجسد أحد أهم مراحل نشاط المدينة من حيث الاتصال البحري وصيد الأسماك وصناعة القوارب ٦٦ ، كما ارتبطت ينبع البحر بخطوط ملاحية بحرية تربطها بموانئ الحبشة والهند والصين ، وأهمها الخط الملاحي الذي ورثته ينبع البحر من ميناء الجار ، وارتباطه بمينائي الطور والسويس بمصر ٦٧ .

### مجتمع مدينة ينبع :

سكن ينبع والمناطق التابعة لها من القرى والأودية والشعاب قبائل متعددة ، أهمها وأكبرها قبيلة جهينة ٦٨ ، وهي كثيرة العدد شملت مضاربها أكبر رقعة في تلك المنطقة ٦٩ ، بالإضافة إلى الحسينيين أحفاد علي بن أبي طالب ٧٠ .

٦٣ الحج قبل مئة سنة ، ص ١٧٧ .

٦٤ محمد الشريف ، المختار من الرحلات الحجازية ، رحلة بيرتون ، ج ١ ، ص ٤١٠ .

٦٥ إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج ٢ ، ص ١٣ .

٦٦ محمد الرويثي ، الموانئ السعودية على البحر الأحمر ، ص ٣٣٥ .

٦٧ محمد الرويثي ، التطور المكاني والتاريخي لموانئ شبه الجزيرة العربية ، ص ٩١ - ٩٢ .

٦٨ وهي قبيلة تنتمي إلى قضاة أكبر قبائل الجنوب منازلهم بين ينبع والمدينة إلى وادي الصفراء جنوباً والعيص وديار يلي شمالاً على الضفة الشرقية للبحر الأحمر ، وانتشروا في الجهة الغربية من البحر ووصلوا إلى صعيد مصر والحبشة . انظر : ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ ؛ الفلقشدي ، صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣١٦ ؛ محمد الجهني ، جهينة ماضيها وحاضرها ، ص ١٠ وما بعدها .

٦٩ليون روش ، اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ ؛ شارل ديبويه ، رحلة إلى

الحجاز ، ص ١٥٧ ؛ جورج فالين ، رحلات فالين إلى جزيرة العرب ، ص ٢٢٧

٧٠ الفيروز آبادي ، المغامم المطابية ، ص ٤٤٠ ؛ تنيضب الفايد ، صيد الذاكرة ، ص ٢٥١ .

وقد وصفهم البكري بقوله : " سكان ينبع يتكونون من الأنصار وجهينة وليث<sup>٧١</sup>، كما أضاف بأن من سكان ينبع قبيلة نهد<sup>٧٢</sup>، والتي تقطن المناطق الجبلية العالية مع جهينة<sup>٧٣</sup>، وقبيلة حرب<sup>٧٤</sup>، التي استقرت في الجزء الجنوبي من ينبع<sup>٧٥</sup>، وفي ينبع النخل سكن الأشراف من بني إبراهيم<sup>٧٦</sup>، والعايشة<sup>٧٧</sup>، وذوي هجار<sup>٧٨</sup> .

ويصف بوركهات سكان ينبع في (رحلته) عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م بقوله : " إن ينبع مدينة عربية كاملة فالقليل من الأجانب قد استوطن هنا ومن الهنود ... وبعض الأتراك ... وينتمي معظم السكان إلى قبيلة بدوية في هذا الجوار - الذي عند شمالاً على طول شاطئ البحر - وقد أصبح العديد منهم مستوطنين واختلطت بهم عدة عائلات من الشرفاء الذين هم أصلاً من مكة<sup>٧٩</sup>، ويعلل سبب ذلك بأنهم استقروا للعمل والتجارة<sup>٨٠</sup>، بالإضافة إلى جالية من أهل مصر<sup>٨١</sup>، حيث أشار إلى ذلك محمد صادق الذي زار ينبع عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م بقوله : " وأغلب تجارها من مصر والصعيد<sup>٨٢</sup>، وفي هذا توضيح أن

<sup>٧١</sup>معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٦٥٦ .

<sup>٧٢</sup>نهد بطن من قضاة كانت منازلهم باليمن ومنهم طائفة ببلاد الشام ومنهم من انضم إلى جهينة . انظر : القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣١٧ .

<sup>٧٣</sup>معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٦٥٦ .

<sup>٧٤</sup>قبيلة حرب : من العرب العدنانية وهي ليست منحدره من سلالة واحدة بل هي مجموعة أحلاف وعناصر مختلفة النسب وتقع أماكنها في نجد والحجاز، وتمتد من جنوبي ينبع إلى القنفذة على محاذا الساحل وحول المنطقة الممتدة والقرية من المدينة إلى مكة . انظر : فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب، ص ٨١-١٤٧ ؛ حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٠ .

<sup>٧٥</sup>إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ٢، ص ٤١ - ٤٢؛ عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ٣٦-٣٧ .

<sup>٧٦</sup>وهم الأشراف الحسينيون أطلق عليهم ذلك بعد ما تحالفوا مع بني إبراهيم بن أبي النفس الزكية . انظر : حمد الجاسر ، بلاد ينبع، ص ٢٩ .

<sup>٧٧</sup>نسبة إلى عياش بطن من الأشراف ، يقال لهم أشراف رفاعة وقد اختلطوا مع جهتيه . انظر : عاتق البلادي ، معجم قبائل الحجاز، ص ٣٦٩ .

<sup>٧٨</sup>من أشراف ينبع وهم بنو هجار ابن دراج من سلالة الحسن بن قتادة ، أمراء ينبع من القرن العاشر الهجري إلى الرابع عشر الهجري . انظر : المرجع السابق، ص ٥٤١ .

<sup>٧٩</sup>رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٤٨ .

<sup>٨٠</sup>المصدر السابق نفسه .

<sup>٨١</sup>ليون روش ، اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، ج ١، ص ٥٥ .

<sup>٨٢</sup>دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة، ص ٢٩ .

هنالك بعض الأسر التي تسكن ينبع وتعود جذورها إلى مصر ، وهي تمثل الطبقة الغنية في ينبع <sup>٨٣</sup>.

تفاوت عدد سكان مدينة ينبع خلال العصور التاريخية ، فالرحالة دومنجو باديا الذي زار ينبع عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م يذكر أن عدد سكانها كان يقدر آنذاك بـ ٣٠٠٠ نسمة <sup>٨٤</sup>، بينما يوضح وليم أوكسنولد في دراسته عن الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري وأوائل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي بأن عددهم يصل إلى ٤٠٠٠ نسمة <sup>٨٥</sup>، ويذكر بوركهارت في (رحلته) عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م أن عددهم يقدر ما بين ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ نسمة <sup>٨٦</sup>. فيما يحدد أيوب صبري الذي زار ينبع عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م بأنهم قد بلغوا ٥٠٠٠ نسمة <sup>٨٧</sup>. يتفق معه كل من محمد صادق الذي زارها عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م <sup>٨٨</sup>، وعبد العزيز دولتشين الذي زارها عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م <sup>٨٩</sup>، بينما يزيد العدد في عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م حينما مر إبراهيم رفعت، الذي قدر عددهم بـ ٧٠٠٠ نسمة <sup>٩٠</sup>.

ومن ذلك يتضح أن عدد السكان حسب وصف الرحلات لم يتغير كثيراً، وهذا يدل على النمو البطيء للسكان ، مما يعطي مؤشرات تدل على بعض الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة ينبع . ينقسم السكان في مدينة ينبع إلى بحارة وتجار ومزارعين <sup>٩١</sup>، لكن المهنة الأساسية هي التجارة والملاحة <sup>٩٢</sup>.

<sup>٨٣</sup> انظر : أسماء تلك الأسر التي استوطنت ينبع ، حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

<sup>٨٤</sup> رحالة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٨ .

<sup>٨٥</sup> الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب ( الحجاز تحت الحكم العثماني . ١٨٤٠-١٩٠٨م ) ، ص ٤٣ .

<sup>٨٦</sup> رحلات في شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٧٦ .

<sup>٨٧</sup> موسوعة امرأة الحرمين ، ج ٥ ، ص ١٤٦ .

<sup>٨٨</sup> دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة ، ص ٢٩ .

<sup>٨٩</sup> الحج قبل مئة سنة ، ص ١٧٧ .

<sup>٩٠</sup> مرأة الحرمين ، ج ٢ ، ص ١٢ .

<sup>٩١</sup> ليون روش ، اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ ؛ شارل ديبويه ، رحلة إلى الحجاز ، ص ١٥٩ .

<sup>٩٢</sup> بوركهارت ، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٤٨ ؛ عبد العزيز دولتشين ، الحج قبل مئة سنة ، ص ١٧٧ .

## النظام الإداري في ينبع :

كانت ينبع إمارة تابعة لمكة المكرمة تارة والمدينة المنورة تارة أخرى، أما أمراؤها خاصة وأمراء الحجاز عامة فجميعهم من الإشراف وهم طبقات متعددة<sup>٩٣</sup> ، باستثناء بعض الأوقات في عهد المماليك الجراكسة ، إذ منحت ينبع استقلالاً ذاتياً نظراً لأهمية الميناء وحيوية الموقع<sup>٩٤</sup> .

يشير الرشيدى إلى تبعية ينبع لمكة المكرمة بقوله : " أمير ينبع يشرف على إدارة ينبع وهي تُغرِقع على البحر الأحمر في منتصف المسافة بين مكة والقاهرة ، وهذا الحاكم ينتمي دائماً إلى شريف مكة "٩٥ ، ويؤكد ذلك أيضاً المرسوم الذي قرئ بمكة المكرمة عام ٨٩١هـ / ٤٨٦م ، والذي أكد فيه قايتباي أن جميع ولايات الحجاز تتبع أمير مكة المكرمة ، وعلى أمير مكة المكرمة مهمة نشر الأمن والقضاء على الفتن والاضطرابات<sup>٩٦</sup> .

وبدخول الحجاز تحت نفوذ الدولة العثمانية وإعلان شريف مكة المكرمة الشريف أبو نمي بن بركات<sup>٩٧</sup> ، الولاء للدولة العثمانية<sup>٩٨</sup> ، أصدر السلطان سليم في عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م<sup>٩٩</sup> ، مرسوماً بتثبيت الشريف أبي نمي أميراً على مكة المكرمة وما تبعها<sup>١٠٠</sup> ، وأصبحت ولايته على المدينة المنورة وما حولها جزءاً من إمارته بحكم المرسوم السلطاني<sup>١٠١</sup> . وبذلك استمرت تبعية إمارة ينبع لشريف مكة المكرمة<sup>١٠٢</sup> ، وإلى ذلك يشير بادي الذي زار ينبع عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م بقوله : " ومع أن ينبع البحر تقع تحت نفوذ السلطان الشريف في مكة الذي يرسل حاكماً لها باسم وزير حتى ولو كان من

<sup>٩٣</sup> وهم الأسرة الموسوية والأسرة السليمانية والأسرة الهاشمية وأخيراً الأسرة الإدريسية . انظر : عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٣ ، ص ٧٥ - ٦٠ ؛ أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٤ .

<sup>٩٤</sup> حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ٥٩ - ٦٧ ؛ إلهام سراج ، بلاد ينبع ، ص ١٣٠ .

<sup>٩٥</sup> حسن الصفا والابتهاج ، ص ٢٤ - ١٢٨ .

<sup>٩٦</sup> عبد العزيز بن فهد ، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري ، ص ٣١ .

<sup>٩٧</sup> من الأسرة الإدريسية ( ٩٢٣-٩٩١هـ / ١٥٢٥-١٥٨٤م ) . انظر : الشريف مساعد بن منصور ،

جدوا لأمرء مكة وحكامها ، ص ٢٩ - ٣٠ .

<sup>٩٨</sup> حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر ، ص ٢٣ - ٢٤ .

<sup>٩٩</sup> أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

<sup>١٠٠</sup> لقد امتدت سيادة الإشراف في عهد الدولة العثمانية من خيبر وينبع والمدينة إلى حلي والأراضي المرتفعة داخل الجزيرة العربية . انظر : سنوك خورهرونية ، صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .

<sup>١٠١</sup> عبد الباسط بدر ، التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ - ٣٤٠ .

<sup>١٠٢</sup> انظر : دراسة إلهام سراج عن أمراء ينبع في رسالتها بلاد ينبع ، ص ١٣٠ - ١٤٧ .

عبيده " ١٠٣ ، ويؤيده في ذلك بوركهارت حينما مر بها عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م ، إذ قال: " وكانت ينبع قد ضمت فيما مضى لحكومة شريف مكة الذي كان يقتسم عوائد الجمارك مع باشا جدة التركي ، وقد ضمها الشريف غالب كلها إلى خزائنه الخاصة ، واحتفظ بوزير أو حاكم هنا مع حرس مكون من خمسين أو ستين شخصاً " ١٠٤ .

بالإضافة إلى أن ينبع كانت تابعة لمكة المكرمة اقتصادياً ، فحين تمر السفن بميناء ينبع يأخذ أمير مكة المكرمة الضرائب المقررة له منها<sup>١٠٥</sup> . وهناك بعض الأوقات القليلة التي كانت ينبع فيها تتبع أشرف المدينة المنورة<sup>١٠٦</sup> ، وإلى ذلك يشير عبد العزيز دولتشين الذي زار ينبع عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م " بأن ينبع تدخل في قوام سنجق<sup>١٠٧</sup> المدينة المنورة ويديرها قائمقام خاص " ١٠٨ .

وفي إمارة ينبع قال قطب الدين النهروالي : " ينبع ولاية يوليها صاحب مكة من أراد من أشرف ينبع وهم الآن ذوي هجار " ١٠٩ ، ويقول الشريف عصام بن ناهض الهجاري<sup>١١٠</sup> " وكانت إمارة ينبع وأعمالها وتوابعها في الأشرف ذوي هجار بدءاً من زمن جدهم قتادة المتوفى سنة ٦١٧هـ إلى سنة ١٣٤٤هـ ، وكان آخرهم الشريف عبد الكريم بن بديوي الهجاري " ١١١ .

ولعل أدق وصف للنظام الإداري في ينبع ما أورده إبراهيم رفعت في (رحلته) عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م بقوله : " ولينبع محافظ ونائب عنه ومجلس إدارة يرأسه المحافظ ويتألف منه ومن ستة أعضاء ثلاثة ينتخبون والثلاثة

<sup>١٠٣</sup> رحلة اسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٩ .

<sup>١٠٤</sup> رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٨٦ .

<sup>١٠٥</sup> الهام سراج ، بلاد ينبع ، ص ١٩٣ .

<sup>١٠٦</sup> المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

<sup>١٠٧</sup> تعني كلمة سنجق العلم واللواء الخاص بالدولة وهي تعني قسماً إدارياً من أقسام الدولة . انظر:

إسماعيل ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، ص ٨٣ .

<sup>١٠٨</sup> الحج قبل مئة سنة ، ص ١٧٩ .

<sup>١٠٩</sup> الإعلام بأعلام بلد الله الحرام ، ص ١٨٠ .

<sup>١١٠</sup> من نسبة الأشرف له اهتمامات بحثية في انساب الأسر الهاشمية في ينبع والمدينة بشكل خاص والحجاز بشكل عام .

<sup>١١١</sup> انقلا عن الشريف محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي بن أبي طالب ﷺ ، ص ١٣ ؛ انظر أيضاً:

الهام سراج ، بلاد ينبع ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

الآخرون نائب المحافظ ومدير الأموال ورئيس التحرير وفيها مجلس بلدي يتألف من رئيس وثلاثة أعضاء و بها شردمة ( أورطة ) من الجنود<sup>١١٢</sup> .  
والجدير بالذكر أن إمارة ينبع قد شكلت أهمية سياسية وعسكرية ، حيث كانت تمارس دورها بين السلاطين العثمانيين وأمراء الحج وأشرف مكة المكرمة ، وكانت حلقة الوصل السياسية بين مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة<sup>١١٣</sup> ، كما أخذ من موقعها قاعدة للاستعداد والإمداد في الأزمان ، فقد كانت محطة عبور للأحداث السياسية ومسرحاً لكثير من الصراعات ، والتي تأثرت بها كثيراً .

### النظام الاقتصادي في مدينة ينبع :

لقد اكتسبت ينبع - بشقيها النخل والبحر - نشاطها التجاري البري والبحري منذ أقدم العصور وذلك لموقعها الاستراتيجي الحيوي ، وقد برع أهلها في العمل التجاري<sup>١١٤</sup> ، بالإضافة إلى كونهم مزارعين<sup>١١٥</sup> ، وصيادين ماهرين<sup>١١٦</sup> ، ففي الأودية الخصبة التابعة لسلسلة الجبال الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من ينبع<sup>١١٧</sup> ، يعمل الأهالي بالزراعة ، حيث يزرعون النخيل<sup>١١٨</sup> ، والفواكه والخضار<sup>١١٩</sup> ، والتي تباع في أسواق ينبع<sup>١٢٠</sup> .

ويؤيد ذلك بوركهارت في (رحلته) عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م بقوله : " وينفرد الجهنيون بزراعة وادي ينبع فهم أما مستقرون في الوادي طوال العام وأما يتركون عدداً قليلاً من العمال في مزارعهم بينما يقومون في خيامهم بالجبل ... وتنمو أشجار النخيل وتزرع النخيل ... ويتم زرع أنواع الفاكهة"<sup>١٢١</sup>

<sup>١١٢</sup>مرآة الحرمين ، ج ٢ ، ص ١٣ .

<sup>١١٣</sup>الشريف محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي بن أبي طالب ﷺ ، ص ١٠ - ١١ .

<sup>١١٤</sup>محمد الرويثي ، الموانئ السعودية على البحر الأحمر ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

<sup>١١٥</sup>بوركهارت ، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٤٩ .

<sup>١١٦</sup>عبد العزيز دولتشين ، الحج قبل مئة سنة ، ص ١٧٧ .

<sup>١١٧</sup>ليون روش ، اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ .

<sup>١١٨</sup>شارل ديبويه ، رحلة إلى الحجاز ، ص ١٥٨ .

<sup>١١٩</sup>عبد القادر الجزيري ، الدرر الفراند ، ج ٢ ، ص ١٤١٧-١٤١٨ ؛ فور ستر سادلير ، رحلة عبر

الجزيرة العربية ، ص ؛ محمد صادق ، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة ، ص ١٣٠ .

<sup>١٢٠</sup>حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ٥٠ .

<sup>١٢١</sup>رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٤٩ - ٣٨٥ .

بالإضافة إلى تربية المواشي مثل الماعز والضأن والجمال<sup>١٢٢</sup>، والمناحل التي يستخرج منها العسل<sup>١٢٣</sup>.

ونتيجة لذلك فقد انتشرت الأسواق وسط المدينة، وبالقرب من الميناء والمناطق المجاورة له، حيث المستودعات وأماكن الاستراحات<sup>١٢٤</sup>.

ومن أهم السلع الواردة والتي كانت محوراً للنشاط التجاري في ينبع هي التوابل بأنواعها، والعطور والبخور، وتجارة الجياد والجمال، والمنسوجات والمواد الغذائية والأحجار الكريمة<sup>١٢٥</sup>، وبعض السلع الهندية والمصرية<sup>١٢٦</sup>.

بالإضافة إلى التمر بأنواعه المختلفة<sup>١٢٧</sup>، وتجارة السمن والعسل والألبان، والفحم النباتي<sup>١٢٨</sup>، ويصف ذلك موريس تاميزيه في (رحلته) عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م، بقوله: "وتعمل المدينة كسوق ومركز تجاري لرجال الأعمال من تجار المدينة"<sup>١٢٩</sup>، ويؤيده بيرتون الذي زار ينبع عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م فقال: "بها تجارة نقل معتبرة وتجارة استيراد كبيرة من مواني غرب البحر الأحمر وتزود مدن الحجاز الرئيسية بالغلل والتمور والحناء"<sup>١٣٠</sup>.

كذلك تجارة بيع السمك بالقرب من الساحل الشمالي للميناء<sup>١٣١</sup> حيث اشتهرت، قبيلة حرب بصيد الأسماك<sup>١٣٢</sup>، بالإضافة إلى استخراج الملح وتجفيفه وتنقيته، ومن ثم بيعه، على قرى ينبع والمناطق المجاورة لها<sup>١٣٣</sup>، كما عمل البحارة إلى جانب ذلك باستخراج الأصداف والمحار بحثاً عن اللؤلؤ<sup>١٣٤</sup>.

<sup>١٢٢</sup> عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٦٠-١٦١.

<sup>١٢٣</sup> عبد القادر الجزيري، الدرر الفوائد، ج ٢، ص ١٤١٧-١٤١٨.

<sup>١٢٤</sup> بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٤٩؛ محمد الرويثي، المواني السعودية على البحر الأحمر، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

<sup>١٢٥</sup> علي السلیمان، النشاط التجاري في شبة الجزيرة العربية، ص ٢٢٧ - ٢٥٧.

<sup>١٢٦</sup> بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٤٩.

<sup>١٢٧</sup> شارل ديبديه، رحلة إلى الحجاز، ص ١٥٥.

<sup>١٢٨</sup> حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٩ - ٥٠.

<sup>١٢٩</sup> رحلة في بلاد العرب والحجاز، ص ٥٨.

<sup>١٣٠</sup> محمد الشريف، المختار من الرحلات الحجازية، رحلة بيرتون، ج ٢، ص ٤٠٨.

<sup>١٣١</sup> إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢٢، سميرة بلسود، ميناء ينبع ورايع، ص ٤٢ - ٤٣.

<sup>١٣٢</sup> عاتق البلادي، نسب حرب، ص ١٩٤.

<sup>١٣٣</sup> عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٢٩.

<sup>١٣٤</sup> إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢٢.

وقد ساعدت الغلال التي تصل للمدينة المنورة عن طريق ميناء ينبع في إيجاد سوق تجارية ضخمة للحبوب<sup>١٣٥</sup>، حيث يذكر جيل كورتلون ذلك في (رحلته) عام ١٣١١هـ / ١٨٩٣م بقوله: "تصل البواخر محملة بالأرز والحبوب والأقمشة فتفرغ حمولتها على رصيف صغير في حالة جيدة إلى حد ما، وهنا تتقدم القوافل الجمال كالنمل لتحمل طرق البضائع وتنقلها إلى المدينة المنورة"<sup>١٣٦</sup>.

كما أن الملاحة من المهن الأساسية في ينبع<sup>١٣٧</sup>، وعن ذلك يذكر شارل ديدييه الذي زار ينبع عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م "أن سكان ينبع يعملون مختارين بالتجارة والملاحة وهم يذهبون يومياً لهذا الغرض إلى القصير والسويس"<sup>١٣٨</sup>، إذ كانت المدينة تملك نحو أربعين أو خمسين سفينة يقودها أبناء ينبع<sup>١٣٩</sup>، ويصفها عبد العزيز دولتشين الذي مر بينبع عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م بقوله: "وهناك ملاحه أكثر انتعاشاً على السناكب وهي زوارق شرعية غير كبيرة يصنعونها في جدة"<sup>١٤٠</sup>.

بالإضافة إلى الصناعة التي اشتهرت بها ينبع، وارتبطت بالبيئة ونوعية الخامات الموجودة بها، حيث انتشرت الصناعات البدوية والقائمة على منتجات النخيل مثل الجريد والحصير والبسط والمراوح وغيرها<sup>١٤١</sup>، وصناعة الحلبي والمجوهرات، والعمود، والتي اعتمدت على الأزهار التي اشتهرت ينبع بزراعتها<sup>١٤٢</sup>، وصناعة المنتجات الحيوانية مثل الألبان والقشطة والأجبان ودباغة الجلود، وعمل المنسوجات الصوفية والسجاجيد والحياكاة والتطريز<sup>١٤٣</sup>، وصناعة الرحي من أحجار الجبال لطحن الحبوب في ينبع<sup>١٤٤</sup>.

<sup>١٣٥</sup> أحمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٩ - ٥٠.

<sup>١٣٦</sup> رحلتي إلى مكة المكرمة، ص ١٣٢.

<sup>١٣٧</sup> بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٤٨؛ عبد العزيز دولتشين، الحج قبل مئة سنة، ص ١٧٧.

<sup>١٣٨</sup> رحلة إلى الحجاز، ص ١٥٩.

<sup>١٣٩</sup> بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٤٨.

<sup>١٤٠</sup> الحج قبل مئة سنة، ص ١٧٧.

<sup>١٤١</sup> عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٦١.

<sup>١٤٢</sup> البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٥٤.

<sup>١٤٣</sup> عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ١٦١ - ١٦٢.

<sup>١٤٤</sup> المرجع السابق، ص ١٦١.

ونتيجة لحاجة المجتمع فقد ازدهرت بعض الصناعات كصناعة الأسلحة كالسيوف والخناجر والدروع<sup>١٤٥</sup>، وفي هذه الصناعات دحض لما ذكره شارل ديبديه في (رحلته) عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م عن سكان ينبع " بأنهم يحتقرون أي عمل يدوي وأي وظيفة خدمية ... وأن حظهم من المدنية قليل<sup>١٤٦</sup> .

ونتيجة لتلك الثروات الزراعية والحيوانية والصناعية كان لابد لينبع من أسواق يتم من خلالها تسويق هذه المحاصيل والمنتجات المصنوعات ، ومن أبرز تلك الأسواق : سوق الجابرية الذي يقام في يوم الجمعة ، وسوق السويق الذي يقام في يوم الأثنين في قرية سويقه<sup>١٤٧</sup> .

وكان من روافد الدخل لمدينة ينبع ولحكومة أشراف مكة المكرمة آنذاك الضرائب التي تحصل على تجارة الصادر والوارد ، فكان جزء من هذه الضريبة يصرف على المصالح العامة والوضع الأمني للمدينة<sup>١٤٨</sup> .  
**الاضطرابات السياسية في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري**  
**أولاً : صراع أشراف مكة المكرمة على الإمارة .**

حينما كان أمراء مكة المكرمة من أشراف ينبع الحسينيين ، وكانت إمارة ينبع تتبع إمارة مكة المكرمة كما سبق وأن ذكرت ، تأثرت ينبع بالأحداث التي كانت تحدث في مكة المكرمة من قبل أشرافها ، ولا أعظم من تلك الصراعات السياسية حول الإمارة ، والتي شهدتها مكة المكرمة بشكل خاص وتأثرت بها بقية مدن الحجاز وخاصة ينبع .

شهد مركز الشرافة ازدهاراً حينما تولى إمارة مكة المكرمة الشريف أبو نمي بن بركات ( ٩٣٣-٩٢٢هـ / ١٥٢٥ - ١٥٨٤م ) ، إذ أعطى للأشراف سلطة قوية على الحجاز<sup>١٤٩</sup> ، ومنذ ذلك الوقت حتى انهيار نظام الشرافة على يد الملك عبد العزيز آل سعود<sup>١٥٠</sup> ، تعاقبت على شرافة مكة ثلاث عائلات من نسل أبي نمي ، الأولى هي ذو زيد ، والثانية ذوو بركات ، والثالثة ذوو عون، إذ استقلت العائلة الأولى بالحكم وحدها ما يقارب من قرن من الزمان ، ثم نافستها عائلة ذوي بركات ، وظل منصب إمارة مكة ينتقل من زيدي إلى بركاتي حتى استقلت بها آل زيد دون آل بركات ، وظل الأمر بأيديهم

<sup>١٤٥</sup> علي السمهودي ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ - ٥٤١ .

<sup>١٤٦</sup> رحلة إلى الحجاز ، ص ١٦٠ .

<sup>١٤٧</sup> عبد الكريم الخطيب ، تاريخ ينبع ، ص ١٦١ ؛ سميرة بلسود ، ميناء ينبع ورابع ، ص ٦٨ .

<sup>١٤٨</sup> عبد القادر الجزيري ، درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

<sup>١٤٩</sup> انظر : الشريف مساعد بن منصور ، جداول أمراء مكة وحكامها ، ص ٢٩ - ٣٠ .

<sup>١٥٠</sup> أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٣٥ .

إلى دخل محمد علي باشا الحجاز عام ١٢٢٦هـ / ١٨١١م ، فدفع بها إلى ذوي عون<sup>١٥١</sup> .

ولأهمية منصب إمارة مكة المكرمة ، فقد نشب صراع عنيف بين الأشراف طوال تلك القرون<sup>١٥٢</sup> ، إذ كان منصب إمارة مكة المكرمة يجلب كثيراً من المكاسب المادية الضخمة ، التي تعود إليهم من إيرادات الحجاج والضرائب ، ويجعلون بعضها سهاماً توزع على أقرباء بيت الإمارة<sup>١٥٣</sup> ، بالإضافة إلى الأهمية السياسية للمنصب<sup>١٥٤</sup> .

كانت ينبع تشكل أهمية لدى أشراف مكة المكرمة ، فهم لم ينسوا أنهم عاشوا فيه ومنه خرجوا ، يرتبطون به ارتباطاً جذرياً ، حيث مقر العصابة والديار الأولى ، فهي قلعة حصينة يتحصن بها آل قتادة ، فيلجأون إليها عندما يهزمون أو يحسون بالأخطار أو طلباً للحماية ، والمدد من عشائرتهم<sup>١٥٥</sup> ، وخاصة أن أمراء ينبع من ذوي الهجار من نسل الحسن بن قتادة بن إدريس<sup>١٥٦</sup> فهم أبناء عمومة لهم .

شهد القرن الثاني عشر الهجري صراعاً كبيراً بين أشراف مكة المكرمة على إمارتها ، وذلك حينما تولى الشريف سعيد بن سعد عام ١٠٩٩هـ / ١٦٨٨م ، وكان الشريف أحمد بن غالب يقيم في ينبع فكتب إلى والي مصر يوافق على تنصيبه أميراً على مكة المكرمة ، فوافق وبعث إلى والي جدة أن يعلن ذلك ، وحينما وصلت الأخبار إلى الشريف سعيد رفض التسليم ، ولم يغادر مكة المكرمة ، إلا بعد نشوب قتال بين الطرفين<sup>١٥٧</sup> .

لكن ما أن بدأ عام ١١٠١هـ / ١٦٩٠م حتى نشب خلاف بين الشريف أحمد وكثير من الأشراف فأعلن ذوو زيد عصيانهم وتوجهوا إلى ينبع فنادوا بإمارة محسن بن الحسين بن زيد ، وعمت الفوضى واضطرب الأمن ، فتنازل الشريف أحمد بن غالب له بالإمارة<sup>١٥٨</sup> .

<sup>١٥١</sup> حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٢٤ .

<sup>١٥٢</sup> انظر : تفاصيل تلك الصراعات في أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢ .

<sup>١٥٣</sup> المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥١٦ .

<sup>١٥٤</sup> حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٣٢ .

<sup>١٥٥</sup> الهام سراج ، بلاد ينبع ، ص ١٦٧ .

<sup>١٥٦</sup> عبد الملك العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٢٠٧ .

<sup>١٥٧</sup> أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٤٤٧ .

<sup>١٥٨</sup> أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

ثم تمردوا عليه وقطعوا الطرق مطالبين بعودة الشريف سعيد بن سعد ، الذي أحتل مكة المكرمة للمرة الثانية عام ١١٠٣هـ / ١٦٩٢م<sup>١٥٩</sup> ، ويعتبر الشريف سعيد بن سعد أطول الأشرف حكماً في بدايات القرن الثاني عشر الهجري / السابع - الثامن عشر الميلادي ، إذ بلغ مجموع سنوات حكمه عشرين عاماً ، خُلع وعاد للسلطة خلالها خمس مرات وسط أحداث دامية<sup>١٦٠</sup> . في ظل هذه الأحداث كانت ينبع الملجأ للفارين والمهزومين ، فحينما أنهزم الشريف أحمد بن غالب ذهب إليها وجمع أنصاره ومؤيديه وهاجموا القنفذة والليث ، وكان يحاول من جراء ذلك استرداد منصب الإمارة<sup>١٦١</sup> .

كما كان ينبع دوراً كبيراً في الأحداث المكية ، إذ نجد أن قبائلها لا يتوانون عن تقديم أي مساعدة للأمير مكة المكرمة ، وذلك مثل ما حديث مع الشريف سعيد بن سعد ، حينما ثار على الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلي عام ١١١٦هـ / ١٧٠٥م ، وأتصل ببعض القبائل لنصرته ، فتحالفت معه قبيلة جهينة ، وأحتل ينبع ، وأخذ ما فيها من غلال الصدقة الخاصة بالمدينة المنورة<sup>١٦٢</sup> .

وفي عام ١١٣٠هـ / ١٧١٨م استونف الصراع بين ذوي بركات وذوي زيد ، واضطربت الأحوال وقطعت الطرق وأختل الأمن ، وظل الكر والفر بين الطرفين حتى عام ١١٦٥هـ / ١٧٥٢م ، حين تولى الشريف مساعد بن سعيد إمارة مكة المكرمة<sup>١٦٣</sup> .

ولكن في عام ١١٧١هـ / ١٧٥٨م ، حدث خلاف بين الشريف مساعد وبعض الأشرف نتج عنه اعتقال الشريف مساعد ، وتعين أخيه جعفر بن سعيد ، شريطة عدم الإساءة إلى أخيه الشريف مساعد ، فحينما تولى الأمر ظل يمهّد الأمور لأخيه الشريف مساعد حتى أعلن تنازله عن الإمارة له عام ١١٧٤هـ / ١٧٦١م<sup>١٦٤</sup> .

أن ينبع كانت محطة و مركز لاستقبال القادمين من مصر من المبعوثين أو السلاطين ، وذلك مثل ما حدث عندما استنجد الشريف عبد الله بن

<sup>١٥٩</sup> مساعد بن منصور ، جداول أمراء مكة وحكامها ، ص ٣٤ .

<sup>١٦٠</sup> عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٣ ، ص ٤٥٣ - ٥٧٥ ؛ حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٣٢ .

<sup>١٦١</sup> أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

<sup>١٦٢</sup> أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ؛ محمد المغربي ، أعلام الحجاز ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ .

<sup>١٦٣</sup> أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٤٩١ .

<sup>١٦٤</sup> عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٣ ، ص ٦٤٠ ؛ المرجع السابق ، ص ٤٩٤ .

الحسين بوالي مصر محمد علي بك لمعاونته على الشريف عبد الله بن سعيد عام ١١٨٤هـ / ١٧٧١م ، فجهز والي مصر حملة عسكرية من الأتراك والمصريين وأرسلها في صحبته إلى ينبع البحر ، فما كان من الوزير المكلف في ينبع درويش أغا إلا أن فر هاربا بعد أن عجز عن ملاقاتهم ، فاحتلت الحملة ينبع ونهبت ما فيها<sup>١٦٥</sup> .

كذلك كانت ينبع سجنًا لبعض المتمردين من الأشراف والمهزومين ، حيث سُجن الشريف أحمد بن سعيد عام ١١٩٣هـ / ١٧٨٠م ، بعد أن كبد نفسه ، وأبن أخيه سرور خسائر في الأموال والأرواح نظير السلطة<sup>١٦٦</sup> .

وفي عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م تولى شرافة مكة المكرمة الشريف غالب بن مساعد ، الذي لم يستقر شأنه إلا بضعة أشهر ، ثم خرج عليه بعض أخوانه واستنجدوا بالقبائل ، وانتهى الأمر بالصلح وأستقر الأمر للشريف غالب<sup>١٦٧</sup> ، لكن يشهد عهده صراعات سياسية أخرى مع الدولة السعودية ، وحملات محمد علي باشا<sup>١٦٨</sup> .

ولتلك الصراعات السياسية كانت ينبع هي المركز الذي يتم فيه تبليغ القرارات لحكام مكة المكرمة سواء بالتمكين أو العزل<sup>١٦٩</sup> ، كما كانت ينبع مستودعاً للذخيرة ومركزاً لتدريب الجند<sup>١٧٠</sup> ، ومقراً لأمرأء الحج وقادة العسكرية بالحجاز<sup>١٧١</sup> .

وعلى الرغم من أن الشريف في مكة المكرمة كان يعتمد على نويه وعلى القبائل العربية إلى حد كبير في وجوده في الإمارة ، إلا أن السلطة الحقيقية له ، كانت مستمدة من الفرمان السلطاني ، والذي كان يصل إلى ينبع وبرفقة المندوب السلطاني ، والذي يحمل معه الخلعة التي يلبسها أمير مكة المكرمة ، فكان يحدث صراع وتنافس بين الأشراف على هذه الخلعة<sup>١٧٢</sup> .

<sup>١٦٥</sup> احمد السباعي ، المرجع السابق ، ص ٤٩٧ .

<sup>١٦٦</sup> عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٣ ، ص ٦٥٧ - ٦٧١ ؛ المرجع السابق ، ص ٥٠٥ .

<sup>١٦٧</sup> احمد السباعي ، المرجع السابق ، ص ٥١١ - ٥١٢ ؛ سعد حسين ، الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ ، ص ٨٦ .

<sup>١٦٨</sup> سنتناوله بالحديث في الصفحات المقبلة .

<sup>١٦٩</sup> الهام سراج ، بلاد ينبع ، ص ١٣٠ .

<sup>١٧٠</sup> فورستر سادلير ، رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ١٢٧ ؛ توماس لورانس ، أعمدة الحكمة السبعة ، ص ١٣٣ .

<sup>١٧١</sup> إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ .

<sup>١٧٢</sup> محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي بن أبي طالب ، ص ١١ .

والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية لم تكن تتدخل في شؤون الحجاز الداخلية ، ولاسيما في مسألة السلطة ، واكتفت الاهتمام بتأمين قوافل الحج ، وتأمين وصول المواد الغذائية للحرمين الشريفين<sup>١٧٣</sup> ، لكن في حالات الصراع المستمر على الإمارة كانت الدولة تعين الشريف الأكثر ولاء لها<sup>١٧٤</sup> ، وذلك مثل ما حدث مع الشريف سعد بن زيد ، حينما أرسل مرسوم سلطاني بتعيينه أميراً على مكة المكرمة في أثناء خلاف الأشراف عام ١١٣٠هـ / ١٦٩٢م<sup>١٧٥</sup> ، وكذلك الشريف عبد الكريم بن محمد الذي ثبت بمرسوم سلطاني بعد سلسلة من الصراعات عام ١١١٧هـ / ١٧٠٦م<sup>١٧٦</sup> .

لقد تسببت هذه الصراعات على الإمارة في عدم الاستقرار واضطراب الأمن<sup>١٧٧</sup> ، ويعلق السباعي على هذه الصراعات بقوله : " فأصحاب مكة الذين أعنيهم وهم أمراؤها من الأشراف ، قضوا حياتهم فيها متنازعين متناحرين لا يكاد أن يغمد سيف من سيوفهم حتى تشرع في وجه صاحبه سيوف ولا يكاد يظفر بالغبلة بينهم ثائراً حتى يناجزه ثوار جدد يثيرونها عليه حرباً عواناً ..... ، لهذا كان الحاكم منهم لا يجد في أموال البلاد ما يسع مرافقها العامة ولا يجد في أوقاته من الفرص ما يساعد على التفكير في شؤونها الحيوية"<sup>١٧٨</sup> .

**ثانياً : ظهور الدولة السعودية في نجد وسيطرتها على الحجاز .**

قامت الدولة السعودية الأولى باتفاق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب<sup>١٧٩</sup> والإمام محمد بن سعود في الدرعية عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م<sup>١٨٠</sup> ، ومنذ هذا التاريخ بدأت الدولة في فتوحاتها وأتساعها حتى ضمت نجد والإحساء<sup>١٨١</sup> .

<sup>١٧٣</sup> حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٢٦ .

<sup>١٧٤</sup> المرجع السابق ، ص ٢٤ .

<sup>١٧٥</sup> أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .

<sup>١٧٦</sup> عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٣ ، ص ٥٦٠ ؛ أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام ، ج ٢ ، ص ١٣٧ - ١٦٦ .

<sup>١٧٧</sup> أحمد محمد ، الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ج ٣ ، ص ٥٣ .

<sup>١٧٨</sup> أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥١٧ - ٥٢٠ .

<sup>١٧٩</sup> الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية ، والتي كانت قائمة على تجريد التوحيد لله عز وجل ، ومحاربة البدع والخرافات إلى لحقت بمفهوم الإسلام ، لان البدع كانت منتشرة آنذاك في الجزيرة العربية . انظر: عبد الله العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ج ١ ، ص ٧٠-٨٦ .

<sup>١٨٠</sup> عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٢٥ .

<sup>١٨١</sup> انظر تفصيلها في عبد الله العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ج ١ ، ص ٨٨ - ١١٣ .

ويذكر ابن دحلان في علاقة الأشراف بالدولة السعودية بقوله: " إن الوهابيين أرسلوا ثلاثين عالماً إلى مكة المكرمة في عهد الشريف مسعود بن سعيد ( ١١٤٦-١١٦٥هـ ) ، وحين باحثهم علماء هذه المدينة الذين كانوا قد سمعوا بظهور ابن عبد الوهاب تحققوا جهلهم ، وبعد إقامة الدليل عليهم كفرهم قاضى الشرع وحبسوا ، ثم منعهم أشراف الحجاز بعد ذلك من الحج... " <sup>١٨٢</sup> .

وحيثما تولى الإمارة الشريف غالب بن مساعد عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م ساءت الأمور أكثر ، وبدأت الحركات العسكرية من قبله ضد الدولة السعودية عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م، انتهت بدخول الحجاز ضمن أملاك الدولة السعودية عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م <sup>١٨٣</sup> ، وتعيين الشريف عبد المعين بن مساعد أميراً على مكة المكرمة <sup>١٨٤</sup> .

يصف بوركهارت دخول الجيش السعودي ينبع عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م بقوله: " عندما قام سعود الزعيم الوهابي بمهاجمة الأجزاء الشمالية من الحجاز كانت محاولته الأولى إضعاف قبيلتي بني حرب وبني جهينة البدويتين بما يكفل إخضاعها له ، وقد ساعده على ذلك العداوة التي كانت بين القبلتين ، وبعد استسلام جهينة ، وبعد أن دخلت إلى ينبع النخل فرقة من الجنود الوهابيين هاجم سعود ينبع للمرة الأولى سنة ١٨٠٢م مع قوة كبيرة بقيت متمركزة أمامها لعدة أسابيع في محاولات متكررة لاغتصابها والاستيلاء عليها، وبعد انسحابه ، بني أهل ينبع الجدار القوي الجديد حول البلدة بأمر من الشريف الذي جعلهم يتحملون نفقات هذا العمل ، وبعد أن أذعن غالب نفسه لسلطة سعود المتفوقة الذي استولى على مكة بقيت ينبع صامدة لعدة أشهر وعندما تحضر جيش جرار قوى لمهاجمتها وهرب الوزير نفسه ، قام حينها أهل ينبع بإرسال رسول إلى سعود فاستسلموا وتبنوا عقيدته في الوقت نفسه... " <sup>١٨٥</sup> .

وهكذا يتضح أن الشريف غالب لم يستسلم ، إذ عاد إلى مكة المكرمة بعد مغادرة الجيش السعودي ، وأجبر الحامية العسكرية السعودية على الانسحاب ، وتسلم مقاليد الأمور من أخيه عبد المعين ، فتوالت الحروب من جديد بينه وبين السعوديين حتى انتصر السعوديين عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م <sup>١٨٦</sup> .

ويصف دومنجو باديا الأوضاع في ينبع بعد دخول السعوديين حينما زارها عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م بقوله: " إن أسم السعوديين الذي يحملة أهل

<sup>١٨٢</sup> كان ابن دحلان يمثل لسان السلطة الحاكمة في الحجاز. انظر: خلاصة الكلام، ج٢، ص٢٢٧ - ٢٢٨

<sup>١٨٣</sup> بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ٨٩ - ٩٠؛ عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ١٣٣

<sup>١٨٤</sup> مساعد بن منصور ، جداول وأمراء مكة وحكامها ، ص ٣٧ .

<sup>١٨٥</sup> رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٥١ .

<sup>١٨٦</sup> عبد الله العثيمين ، تاريخ المملكة ، ج ١ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

مدينة ينبع لم يتسموا به في واقع الحال لأنهم يحبون الحركة الإصلاحية ، وإنما لأنهم يخافون أتباعها الذين ينتمون إليها ولهذا فهم دائماً مسلحون ، وفي حالة تاهب قصوى كي لا يسمحوا بدخول قواتهم فحراسهم أخذون أماكنهم بانتباه ويقظة وأبوابهم مغلقة ، وهم مستعدون لصد أي هجوم<sup>١٨٧</sup> .

وتشير المصادر أن استسلام الشريف غالب يعود لأسباب أهمها خروج الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م<sup>١٨٨</sup> ، وانشغال الدولة العثمانية بها ، كما كان نبأ استيلاء الفرنسيين على مصر صدمة كبيرة لأهالي الحجاز ، إضافة إلى أن السلطان العثماني أرسل فرماناً إلى الحجاز بضرورة تحصين الحرمين ، فأمر الشريف غالب الأهالي بالاستعداد للكفاح والجهاد<sup>١٨٩</sup> .

كما أرسل مراد بك إلى الشريف غالب يطلب منه المعونة في الحرب ضد الفرنسيين ، كما كتب إلى حاكم وأهالي ينبع يستنفرهم للجهاد<sup>١٩٠</sup> ، لذلك جهز تاجرها محمد أبو العسل داوا من داواته وثلاث سواعي أخريات من أهل ينبع<sup>١٩١</sup> .

وتذكر كتب التاريخ أن قبيلة جهينة الموجودة في مصر ، قد ساهمت في التصدي لقوات الاحتلال الفرنسي ، بمساعدة أقربائهم من رجال جهينة الموجودين في ينبع ، والذين كانوا يعبرون البحر الأحمر إلى مصر عبر ميناء ينبع<sup>١٩٢</sup> .

إن حكم الدولة السعودية في الحجاز لم يدم طويلاً ، حيث كلفت الدولة العثمانية والي مصر محمد علي باشا بمحاربتها ، وباتفاق مع الشريف غالب ، فكان ذلك عام ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م<sup>١٩٣</sup> ، فتوجهوا إلى ينبع واحتلوها<sup>١٩٤</sup> ، بعد

<sup>١٨٧</sup> رحالة أسياني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٩ .

<sup>١٨٨</sup> انظر : علي الصلابي ، عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية ، ص ٣٩٢ - ٤٠٧ .

<sup>١٨٩</sup> أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

<sup>١٩٠</sup> حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٦٤ ؛ علي الصلابي ، عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية ، ص ٣٩٦-٣٩٧ .

<sup>١٩١</sup> الداوات : سفن حمولتها نحو من ١٥٠ إلى ٢٠٠ طن على شكل الغراب ، والسواعي: سفن صغيرة الحجم كانت تعمل في نقل التجارة ، انظر : حسام محمد ، المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٩١ .

<sup>١٩٢</sup> انظر ما قاله المؤرخ كريستوفر هارولد الذي كان ضمن الحملة الفرنسية في كتابه: نابليون بونابرت في مصر .

<sup>١٩٣</sup> بوركهارت ، مواد لتاريخ الوهابيين ، ص ١١١ ؛ شارل ديبييه ، رحلة إلى الحجاز ، ص ٢٤٩ .

<sup>١٩٤</sup> أحمد الدحلان ، خلاصة الكلام ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ؛ فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص ٣٤١ .

مقاومة أميرها جابر بن جبارة<sup>١٩٥</sup>، ويصف ذلك الرحالة جيوفاني فيناتي الإيطالي، والذي شارك في الحملة فقال: "وقد تعرضت حامية ينبع لنكسة بموت مهندس بطارية المدفعية، مما جعل المدافعين في ينبع مكشوفين، وأمام هجوم جيش طوسون قرر المدافعون التراجع عن المدينة بدلاً من التسليم، وحمل سكان ينبع ما خف وغلا نحو بوابة المدينة بدر، وتمكنت قوات طوسون من السيطرة على ينبع التي كانت خالية من السكان بالكلية"<sup>١٩٦</sup>.

فاتخذت ينبع مقراً ومركزاً لاستقبال الحملات العسكرية، والتقاء القوات البرية والبحرية القادمة من مصر<sup>١٩٧</sup>، ثم بقيت القوات ساكنة لعدة شهور، المشاة منها عند ميناء ينبع، والفرسان في ينبع النخل لدى قبيلة جهينة<sup>١٩٨</sup>.

ويصف الجبرتي ما حدث في ينبع بقوله: "جاء الخبر بأن العساكر البحرية ملكوا ينبع البحر، ونهبوا ما كان من ودائع التجار، وذلك أنه كان بمرسة ينبع عدة مراكب وداوادت وأرسل الشريف غالب إلى المراكب الكائنة بمرسة الينبع بأن ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم، ويودعوه قلعة الينبع تحت يد وزيره، وترك معه نحو خمسمائة من عسكره، وأخذ المراكب ببضائعها، وأرسلها إلى السويس لتباع بمصر، فلما وصلت مراكب العساكر البحرية، وألقت حراسها قبالة الينبع احتاجوا إلى الماء، فلم يسعفهم بالماء، فطلع طائفة من العسكر إلى البر في طلب عين الماء فمنعهم من عندها مرابط فقاتلهم وطردوهم، ومنعهم عن الماء وفي حالة رجوعهم رسوا عليهم من القلعة المدافع والرصاص، فعند ذلك استعدت العساكر لمحاربة من بالقلعة، فملكوا القلعة وقتلوا من كان بها ولم ينجو منهم إلا الوزير ومعه ستة أنفار، خرجوا هاربين على الخيول، ونهبوا كل ما كان بالينبع من الودائع والأموال والأقمشة والبن، وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر"<sup>١٩٩</sup>.

كما لجأ طوسون إلى سياسة استمالة بعض رؤساء قبيلتي حرب وجهينة الذين في المنطقة بالهدايا والأموال ليمهد الطريق أمام قواته<sup>٢٠٠</sup>، ويصف ذلك

<sup>١٩٥</sup> آل جبارة من رؤساء قبيلة جهينة من أهل ينبع النخيل. انظر: بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١١٤؛ حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٨٨ - ٩١.

<sup>١٩٦</sup> أحمد محمد، الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ج ٣، ص ٨٤.

<sup>١٩٧</sup> سليمان الغنم، سياسة محمد علي باشا التوسعية، ص ٤٤.

<sup>١٩٨</sup> بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص ١١٣؛ جبرالدي غوري، حكام مكة، ص ٢٣٧.

<sup>١٩٩</sup> عجائب الآثار، ج ٤، ص ١٣٥ - ١٣٦.

<sup>٢٠٠</sup> البتتوني، الرحلة الحجازية، ص ١٤٩؛ عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ١٩٣ - ١٩٤.

السباعي بقوله : " وأخذت قيادة الجيش المصري تصب أموالها وهداياها للعربان في ينبع والبوادي صبا<sup>٢٠١</sup>

لقد تأثرت ينبع كثيراً بهذه الأحداث والتي استمرت طيلة القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، فبعد أن سقطت الدولة السعودية الأولى ، وأنهت وجودها الدولة العثمانية من الحجاز ونجد باستسلام الإمام عبد الله بن سعود عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م<sup>٢٠٢</sup> ، ما لبث أن قامت الدولة السعودية الثانية والتي أعادت بناء الدولة<sup>٢٠٣</sup> ، ولكن جيش محمد علي باشا لم يغادر الجزيرة العربية إلا بعد اتفاقية لندن عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م<sup>٢٠٤</sup> ، ففي تلك كانت ينبع مركزاً للقوات المصرية والتركية .

كما عمل محمد علي باشا على إعادة الترتيبات الإدارية في الحجاز<sup>٢٠٥</sup> : أولها ، القبض على الشريف غالب بن مساعد ونفيه إلى سلونيك في تركيا<sup>٢٠٦</sup> ، وقد أثار سجن غالب والعدر به استنكار العرب كلهم ضد الأتراك<sup>٢٠٧</sup> .

ثم قام بتعيين الشريف يحيى بن سرور في عام ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م<sup>٢٠٨</sup> ، وأعاد توزيع السلطة بين أمراء البلاد ، وأشخاص غيره ، مما ترتب عنه أن عاد الصراع بين الأشراف<sup>٢٠٩</sup> .

ففي عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٨م قام الأشراف بثورة ضد الشريف يحيى وبمساعدة قبيلة حرب التي تسكن في بدر ، ونادوا بالشريف عبد المطلب بن غالب ، وبموافقة رئيس الحامية المصرية ، الذي بعث إلى محمد علي باشا ، فرفض ذلك ، ووجه الإمارة إلى محمد بن عبد المعين بن عون<sup>٢١٠</sup> .

<sup>٢٠١</sup> تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥٧٤ .

<sup>٢٠٢</sup> شارل ديبويه ، رحلة إلى الحجاز ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ ؛ عبد الله العثيمين ، تاريخ المملكة ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

<sup>٢٠٣</sup> عبد الله العثيمين ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٥ - ٢٢٠ .

<sup>٢٠٤</sup> أحمد الدحلان ، تاريخ أشراف الحجاز ، ج ١ ، ص ٢٧ ؛ انظر تفاصيل أكثر في سليمان الغنام ، سياسة محمد علي باشا التوسعية ، ص ٤٦ وما بعدها .

<sup>٢٠٥</sup> أحمد الدحلان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠ .

<sup>٢٠٦</sup> بوركهارت ، مواد لتاريخ الوهابيين ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ؛ أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥٧٦ .

<sup>٢٠٧</sup> شارل ديبويه ، رحلة إلى الحجاز ، ص ٢٥٤ .

<sup>٢٠٨</sup> مساعد بن منصور ، جداول أمراء مكة وحكامها ، ص ٣٨ .

<sup>٢٠٩</sup> عبد الله غازي ، إفادة الأنام ، ج ٤ ، ص ٦٦ - ٨٧ ؛ أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥٨١ .

<sup>٢١٠</sup> أحمد السباعي ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٣ - ٥٨٤ .

ولقد استفادت الدولة السعودية من الصراع الذي بلغ ذروته بين الشريف محمد بن عبد المعين والشريف عبد المطلب بن غالب ، ووجدوا صفوفهم وكلمتهم في نجد<sup>٢١١</sup> ، مما نتج عنه أن وكلت الدولة العثمانية الشريف محمد بن عبد المعين بقتالهم ، وذلك في عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٨م ، فأضطر الأمير فيصل بن تركي الصلح مقابل أن يدفع للعثمانيين خراجاً سنوياً<sup>٢١٢</sup> . وهكذا نرى أن ظهور الدولة السعودية وحملات محمد علي باشا لإسقاطها عامل مهم في الاضطرابات السياسية التي شهدتها الحجاز بشكل عام وينبع بشكل خاص ، فقد تميزت فترة وجود قوات محمد علي باشا في الجزيرة العربية خلال الفترة من عام ١٢٢٦هـ / ١٨١١م إلى ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م بعدم الاستقرار ، فتنشیر الوثائق المصرية والتركية أنه كثرت حركات التمرد والعصيان من القبائل الواقعة في الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وينبع فدخلوا في حروب ومعارك طاحنة .

**ثالثاً : حركات التمرد والعصيان من القبائل .**

لقد حرصت الدولة العثمانية على تأمين قوافل الحج ، وتأمين وصول المواد الغذائية للحرمين الشريفين<sup>٢١٣</sup> ، فكانت مقابل ذلك تدفع إعانات مالية للقبائل الواقعة في طرق القوافل لحماية مرور تلك القوافل دون اعتداءات القبائل<sup>٢١٤</sup> .

ومن أهم هذه القبائل قبيلة حرب التي تتحكم في طريق جدة - مكة المكرمة ، وطريق مكة المكرمة - المدينة المنورة ، وطريق المدينة المنورة - ينبع ، وقبيلة جهينة التي تسيطر على جزء من طريق المدينة المنورة - ينبع<sup>٢١٥</sup> .

إن هذه المنح المالية من الدولة العثمانية كانت تعمل بشكل معقول على إيقاف هجمات القبائل على قوافل الحجاج وقوافل التجارة ، ولكن كانت تتعرض لاختلاس بعض موظفي الدولة المكلفين بتوصيلها للقبائل<sup>٢١٦</sup> ، الأمر الذي ترتب

<sup>٢١١</sup>ليون روش ، اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٧٢ ؛ أحمد الدحلان ، تاريخ أشراف الحجاز ، ج ١ ، ص ٧٥ .

<sup>٢١٢</sup>أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥٩٧ ؛ جيرالد دي غوري ، حكام مكة ، ص ٣٠٢ .

<sup>٢١٣</sup>حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٢٦ ؛ سعيد حسين ، الاعتداءات على الحرمين الشريفين ، ص ٩٠ .

<sup>٢١٤</sup>وليم أوكسنولد ، الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب ، ص ٤٧ .

<sup>٢١٥</sup>عبد العزيز دولتشين ، الحج قبل مئة سنة ، ص ٢١٣ ؛ المرجع السابق نفسه .

<sup>٢١٦</sup>وليم أوكسنولد ، المرجع السابق ، ص ٤٨ - ٢٣٠ ؛ محمد المغربي ، أعلام الحجاز ، ج ٣ ، ص ٢٣٤

عليه حركات تمرد وعصيان من هذه القبائل راح ضحيتها قوافل الحجاج التي تتعرض للسلب والنهب<sup>٢١٧</sup>.

فالمصادر التاريخية والوثائق العثمانية تشير إلى تلك الحركات التمردية من القبائل والإجراءات العثمانية لوقفها وإعادة الأمن للبلاد<sup>٢١٨</sup>، ولكن في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، بدأت الدولة تدخل في مراحل الضعف الأمر الذي زاد من حركات التمرد والعصيان بالرغم من تدخل أشرف مكة المكرمة في منع وإيقاف تلك الحركات<sup>٢١٩</sup>.

إضافة إلى عدم فعالية القوات العثمانية ، والذي يعود إلى نقص الإمدادات ، فلم تكن الحبوب ، والأعلاف والمواد الضرورية الموجودة في مخازن تلك القوات بالكميات الكافية ، إضافة إلى أن مرتبات الجنود لم تكن تدفع بانتظام<sup>٢٢٠</sup>.

فمثلا هاجمت قبيلة حرب وقبيلة عنزة وعدد كبير من القبائل الأخرى قوافل الحج في عام ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م وقتلوا عدداً كبيراً من الحجاج ونهبوا غنائمهم<sup>٢٢١</sup>.

وفي عهد الشريف سعد بن زيد عام ١١٠٣هـ / ١٦٩١م ، تمردت قبيلة حرب فخرج لمقاتلتها فانتصرت عليه ، فعاد إلى مكة المكرمة ، وفي العام التالي أستأنف القتال ضدهم وأنتصر عليهم<sup>٢٢٢</sup> ، ويصف عبد الغني النابلسي هذه الأحداث عندما وصل ينبع عام ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م بقوله : " ثم أننا سألنا عن السير إلى المدينة المنورة فأخبرونا أن الطريق مخوف وأن العرب -عرب حرب - واقفون في وادي الصفراء يمنعون كل من سار إلى المدينة"<sup>٢٢٣</sup> ونتج عن ذلك أيضا أن تحالف بنو إبراهيم أهل قرية سويقه في ينبع النخل مع قبيلة حرب فدخلها الشريف سعد بن زيد وأحرقها وقطع نخيلها ، حتى رحل أهلها عنها<sup>٢٢٤</sup>.

<sup>٢١٧</sup> سعيد حسين ، الاعتداءات على الحرمين الشريفين ، ص ٨٨ - ٨٩ .

<sup>٢١٨</sup> انظر وثيقة رقم ٦٥ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف 877AYNIYATDEFT NO. S .Y. G ، الرياض: دار الملك عبد العزيز ؛ وثيقة رقم ٨٨ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف MHH.2896.IMEC ، الرياض: دار الملك عبد العزيز .

<sup>٢١٩</sup> حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٢٦ - ٢٧ .

<sup>٢٢٠</sup> وليم أوكسنولد ، الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب ، ص ٢٥١ .

<sup>٢٢١</sup> حسام محمد ، العلاقات المصرية الحجازية ، ص ٢٢٠ .

<sup>٢٢٢</sup> أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .

<sup>٢٢٣</sup> الحقيقة والمجاز ، ص ٣٢١ .

<sup>٢٢٤</sup> حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ١٥ - ١٦ .

وفي عام ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م هاجمت قبيلة عتيبة قوافل الحج وقطعت الطريق ونهبت الحجاج<sup>٢٢٥</sup>، وتشير الوثائق العثمانية أنه في عام ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م أصدرت الدولة العثمانية أمراً سلطانياً إلى شريف مكة المكرمة عبد الله بن سعيد لتأديب قبيلة حرب التي نهبت المواد الغذائية المرسله من ينبع إلى المدينة المنورة<sup>٢٢٦</sup>.

وللحد من تلك الاعتداءات فقد صرفت الدولة العثمانية في عام ١١٤٣/١٧٣١م إعانات مالية للقبايل بلغت ٥٥٠,٠٠٠ بارة<sup>٢٢٧</sup>، وزادت المبلغ ليصل في عام ١١٥٤ هـ / ١٧٤١م إلى ٢٥٠٠.٠٠٠ بارة<sup>٢٢٨</sup>.

وفي عهد الشريف سرور بن مساعد عام ١١٩٤هـ / ١٧٨١م اختلفت قبيلة حرب معه بشأن بعض الطلبات فلم يوافق<sup>٢٢٩</sup>، فشن عليهم القتال<sup>٢٣٠</sup>، الذي أستمتر حتى بداية القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، إذ أسر أمير الحج المصري مراد بك عدد من رجال حرب، فحاضوا حرباً ضده، انتهت بفرار أمير الحج، وانتصار حرب الذين غنموا من القوافل غنائم كثيرة<sup>٢٣١</sup>. وفي عام ١٢٠١هـ / ١٧٨٧م جمع الشريف سرور بن مساعد جيشاً كبيراً وأستتفر الأشراف فاشتبك مع بطون حرب عدة اشتباكات كان له فيها النصر، فاحتل الفرع وبدر وينبع النخل، وأشدت القتال في هذه المواقع ومواقع أخرى، وكثر عدد الأسرى الذين كان يبعث بهم مصفدين إلى مكة المكرمة<sup>٢٣٢</sup>، أيضاً في عهده تمردت قبيلة جهينة على أمير الحج الشامي فاضطر الشريف إلى تأديبهم وقتالهم<sup>٢٣٣</sup>.

وفي أثناء وجود قوات محمد علي باشا في الجزيرة العربية كثرت حركات التمرد والعصيان ويعلل السبب عبد الرحيم بقوله: " إن أسباب هذا

<sup>٢٢٥</sup> حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية، ص ٢٢٠.

<sup>٢٢٦</sup> وثيقة رقم ٦، الأرشيف العثماني، تصنيف I.E.DAH.2112، تاريخ أوائل رمضان، ١١٣٨هـ، الرياض: دار الملك عبد العزيز

<sup>٢٢٧</sup> البارة: هي أصغر عملة فضية في مصر العثمانية وتساوي نصف دينار فضه. أنظر: أحمد الرشدي، حسناصفا والابتهاج، ج ٢، ص ١٩.

<sup>٢٢٨</sup> حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية، ص ٢٢٠.

<sup>٢٢٩</sup> قبل أن قبيلة حرب ناصرت أهل المدينة المنورة لتخليصهم من تسلط وزيرها الذي عينه الشريف سرور. انظر: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج ٢، ص ٣٩٥ - ٣٩٧.

<sup>٢٣٠</sup> أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج ٢، ص ٥٠٦.

<sup>٢٣١</sup> المرجع السابق، ص ٥٠٩؛ حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية، ص ٢٢١.

<sup>٢٣٢</sup> عبد الله غازي، إفادة الأنام، ج ٣، ص ٦٧١ - ٦٧٦؛ أحمد الدحلان، خلاصة الكلام، ج ٢، ص ٢١٩.

<sup>٢٣٣</sup> أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج ٢، ص ٥٠٩.

التمرد تعود إلى سوء الأحوال الاقتصادية واستيلاء قوات محمد علي باشا على جمال وماشية وأموال هذه القبائل بطريقة استنزائية ، مما أدى إلى تمرد القبائل وانتقامها عن طريق ممارسة السلب والنهب والغارات " ٢٣٤ .

ومن أبرز هذه التمردات ثورة قبيلة حرب على قوات محمد علي باشا بعد مقتل شيخهم الشيخ جزا بن عامر الأحمدي<sup>٢٣٥</sup> ، عام ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م ، وفي ذلك يقول بوركهارت: " ومن الممكن بسهولة التهكن بنتيجة مثل هذه الحادثة ، فما أن علم أفراد قبيلة حرب بأن شيخهم قد قتل حتى أغلقوا الطريق المارة عبر جبالهم أمام القوافل من ينبع وبدون أن ينضموا إلى الوهابيين ، حقيقة قاموا بأعمال عدائية ضد المخافر الأمامية التركية " ٢٣٦ .

لقد استمرت ثورات قبيلة حرب فأرسل لهم إبراهيم باشا عام ١٢٣١هـ / ١٨١٥م حملة لتأديبهم ولكنها فشلت ، وقد برر فشل الحملة في إحدى رسائله لوالده بقوله : " مولاي ولي النعم أن عربان حرب في جهة الجديدة يظهر منهم منذ القدم عدم الطاعة وإيصال الأذى وأنواع النهب والسلب نحو حجاج المسلمين ... " ٢٣٧ ، وفي عام ١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م رفضت دفع الزكاة مما أحدث اضطراباً شديداً في الحجاز<sup>٢٣٨</sup> ، وإخماد هذه التمردات قامت الدولة العثمانية بشن هجوم على هذه القبائل التي قطعت الطريق المؤدي إلى المدينة المنورة<sup>٢٣٩</sup>

وتشير الوثائق المصرية أن شيخ قبيلة حرب سعد بن جزا الأحمدي بعد أن قطعت الدولة العثمانية عنه مستحقاته المالية سنة كاملة ، دبر مؤامرة قتل أحد قواد محمد علي باشا أمير لواء الجديدة عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م ، وبمعاونة قبيلة الأحامدة<sup>٢٤٠</sup> ، الأمر الذي أثار الدولة العثمانية ومحمد علي باشا ، فوجهت أمراً سلطانياً إلى الشريف محمد بن عبد المعين لتأديبهم ، فقاد حملة عسكرية ضخمة حتى وصلت الصفراء فعسكر بها ، وقامت بالنهب والسلب وحرقت النخيل والزرع حتى تفرق المقاتلون وهربوا إلى الجبال ، وتحصنوا بها وأخذوا

<sup>٢٣٤</sup> محمد علي باشا وشبة الجزيرة العربية ، ج ٢ ، ص ٣٩ - ٤٠ - ٦٨ .

<sup>٢٣٥</sup> قيل قتل من قبل قائد المدينة ديوان أفندي أثر خلاف وقع بينهما . أنظر بوركهارت ، مواد لتاريخ

الوهابيين ، ص ١٦٠ .

<sup>٢٣٦</sup> المصدر السابق ، ص ١٦١ - ١٦٤ .

<sup>٢٣٧</sup> انظر : زكريا قورشون ، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني ، ص ٨٥ - ١٠٤ .

<sup>٢٣٨</sup> عبد الرحيم عبد الرحمن ، محمد علي باشا وشبة الجزيرة العربية ، ج ٢ ، ص ٣٩ - ٤٠ .

<sup>٢٣٩</sup> وثيقة رقم ٨٣ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف H.H.27424 تاريخ ٢٣ شعبان ، ١٢٤٣هـ ، الرياض:

دارة الملك عبد العزيز .

<sup>٢٤٠</sup> عبد الرحيم عبد الرحمن ، من وثائق الدولة السعودية ، ج ١ ، ص ٦٠٥ .

يقطعون الطريق في جهات مختلفة، فعم الضرر واضطرب الأمن، وأشدت غلاء الأسعار لطول مدة الحصار الذي ظل طيلة عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م، وبعض عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م<sup>٢٤١</sup>.

وحينما قرر محمد علي باشا سحب قواته من الجزيرة العربية بعث بخطاب إلى محافظ ينبع مصطفى توفيق يطلب الصلح مع قبيلة حرب وجهينة، ولكن كان رد المحافظ والجنود الموجودين في الحجاز بالرفض لهذا الصلح<sup>٢٤٢</sup> مما جعله يستعين بالشريف محمد بن عبد المعين الذي ساعده في إخماد الثورة وتأديب القبائل<sup>٢٤٣</sup>، وانسحاب الجيوش المصرية من الحجاز<sup>٢٤٤</sup>.

الجدير بالذكر أن الدولة العثمانية حينما ضعفت وعجزت عن حماية طريق الحجاج المار بينبع، وخاصة في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري/ الثامن والتاسع عشر الميلادي، منعت مرور القوافل براً وحولتها بحراً إلى ميناء جدة، مما ترتب عنه أن حُرمت القبائل من تلك المعونات<sup>٢٤٥</sup>، وهذا ما أكده إبراهيم رفعت في (رحلته) عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م حينما تقابل مع قبائل ينبع، وكتبوا خطاباً إلى خديوي مصر، طلباً للصلح وإعادة المعونات ومرور المحمل المصري من طريق ينبع بعد أن تم حجبته ثلاثين عاماً<sup>٢٤٦</sup>.

وهكذا كانت حركات التمرد والعصيان من القبائل عاملاً مؤثراً في الاضطرابات السياسية، ولاسيما حينما عجزت الدولة العثمانية عن مقاومتها، والوقوف في وجهها، وفي ذلك نستشهد بقصيدة الشاعر جعفر البيتي، والذي عمل في ينبع أميناً في القرن الثاني عشر الهجري، وعاش حالة الاضطراب الذي شهدته ينبع في تلك الفترة وتسلسل القبائل فقد قال:

وهناك أعراب أشد نكاية  
يردون قلعة ينبع ورد القطا  
للقلب منها في عنا متنوع  
بين القواضب والرماح الشرع  
تدع الشوامخ كالطول الخشع  
فهناك كم من ضحية لهموا بها

<sup>٢٤١</sup> أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج ٢، ص ٥٨٨ - ٥٨٩؛ عبد الرحيم عبد الرحمن، محمد علي وشبة الجزيرة العربية، ج ٢، ص ١٢٦؛ حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٩٣.  
<sup>٢٤٢</sup> وثيقة رقم ٢٠٠، محظفة ٢٧٠ عابدين، تاريخ ١٣ ربيع الأول ١٢٥٦هـ، القاهرة: دار الوثائق القومية

<sup>٢٤٣</sup> أحمد الدحلان، تاريخ أشراف الحجاز، ج ١، ص ٢٧ - ٢٨؛ وليم أوكسنولد، الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب، ص ٢٥١.

<sup>٢٤٤</sup> أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج ٢، ص ٥٩٥.

<sup>٢٤٥</sup> وليم أوكسنولد، الدين والمجتمع والدولة، ص ٢٤٩؛ حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ١٠٧.

<sup>٢٤٦</sup> امرأة الحرمين، ج ٢، ص ٩٥.

### أثر الاضطرابات السياسية على الحياة العامة في مدينة ينبع .

لقد أدت الاضطرابات السياسية إلى اختلال الأمن في ينبع ، وخوف أهالي ينبع من هذه الفتن والثورات المستمرة ، لدرجة حمل الأهالي للسلاح<sup>٢٤٨</sup> فهم دائماً مسلحون ، وفي حالة تأهب قصوى<sup>٢٤٩</sup> ، ويصف ذلك شارل ديدييه حينما زار ينبع عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م بقوله : " ويحمل الرجال أسلحة مخيفة وفي أيديهم عوضاً عن الخيزرانة هراوة تكفي ضربة واحدة منها لان تصرع ثوراً"<sup>٢٥٠</sup>.

كذلك أعادوا بناء السور الذي يحيط بالمدينة كوسيلة دفاعية ضد الهجوم<sup>٢٥١</sup> ويصفه بوركهارت في عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م بقوله : " وقد أحاط بها من الجوانب الأخرى سور عام ذو متانة معقولة فهو أفضل بناء من أسوار جدة والطائف والمدينة ، وعلى جوانب سور ينبع كثير من البروج،وقد بنائه أهل ينبع بتعاونهم معاً كوسيلة دفاعية "<sup>٢٥٢</sup>

ويذكر محمد صادق باشا إعادة بناء السور في عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م بقوله: " وقد أتفق لي التوجه إلى ينبع ، فوجدت العساكر مجتهدة في بناء سور للبلدة طوله ٣٠٠٠ ذراع تحفظاً من هجوم الأعراب وتسهيلاً للهجوم على المعتدين منهم وصيانة للذخائر ... ، وقد علل السبب بأنه : وقعت ثورة بها من العربان بني إبراهيم وهجموا على السجن وأطلقوا منه شخصين "<sup>٢٥٣</sup>.

ويؤكد إبراهيم رفعت ذلك في (رحلته) عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ، حيث ذكر: " ويحيط بها سور به باب محفور من الجهة الشمالية ، وهذا السور بناه دولة المشير عثمان باشا نوري الذي منع الأعراب من الدخول في هذه البلدة مسلحين بل يضعون سلاحهم في المخفر ثم يدخلون ويأخذونه بعد الخروج "<sup>٢٥٤</sup>.

<sup>٢٤٧</sup> محمد المغربي ، أعلام الحجاز ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

<sup>٢٤٨</sup> بوركهارت ، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ؛ محمد الشريف ، المختار من

الرحلات الحجازية ، رحلة بيرتون ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

<sup>٢٤٩</sup> دومنجو باديا ، رحلة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٩ .

<sup>٢٥٠</sup> رحلة إلى الحجاز ، ص ١٥٩ .

<sup>٢٥١</sup> فورستر سادلير ، رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ١٢٦ ؛ ليون روش ، اثنان وثلاثون سنة في

رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ .

<sup>٢٥٢</sup> رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ص ٣٨٨ .

<sup>٢٥٣</sup> دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة ، ص ١٣٠ .

<sup>٢٥٤</sup> مرآة الحرمين ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ .

ويصف الحالة الأمنية الحاج ميرزا محمد فرحاني الذي زار المدينة المنورة وما حولها عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م بقوله: " ولا يستطيع الفرد الخروج خارج السور ليلاً بغير سلاح وحتى سكان المدينة لا يغادرون لخارجها وحدهم وبدون سلاح ولا ينصح بالذهاب للضواحي والقرى للعزل من السلاح ، ذلك أن سلطة الدولة العثمانية لا وجود لها في الحجاز والمسالك في الحجاز غير آمنة<sup>٢٥٥</sup> إن انعدام الأمن في ينبع ترتب عليه أن توقف طريق القوافل البرية المارة بينبع ، وتحويله إلى ميناء جدة ، نتج عنه تدهور المدينة اقتصادياً<sup>٢٥٦</sup> ، على الرغم من أن بعض المراجع التاريخية تذكر حالة انتعاش لميناء ينبع في القرن الثالث عشر الهجري ، كان سببها وجود قوات محمد علي باشا ، وازدياد حركة البيع والشراء<sup>٢٥٧</sup> .

بالإضافة إلى أن الدولة العثمانية حينما عجزت عن توفير الأمن لقوافل الحجاج ، قامت بإنشاء خط سكة حديد الحجاز في عام ١٣١٩هـ / ١٩٠٠م<sup>٢٥٨</sup> ، الأمر الذي ساعد أيضاً على تدهور المدينة اقتصادياً ، وقد أكد ذلك لورانس حينما زارها عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م بقوله: " فقد كانت ينبع عبارة عن شبه مدينة ، مدينة ميتة منذ أن أفتتح الخط الحديدي الحجازي"<sup>٢٥٩</sup> .

أيضاً أن كثرة الفتن وتوالي الحروب قد صرفت سكان ينبع النخل عن العناية بالزراعة ، حيث انشغلوا بأمور الحرب والدفاع عن أنفسهم والمدينة<sup>٢٦٠</sup> وذلك مثل ما حدث مع قبيلة حرب وقبيلة جهينة حينما حاصرهم الشريف محمد بن عبد المعين عام ونصف<sup>٢٦١</sup>

لقد كان تأثير الاضطرابات السياسية واضح في الحياة الاقتصادية ، فقد توقف العمل بالميناء وتوقفت حركة التجارة ، والتي كانت تنتعش في موسم الحج ، وقد أشار إلى ذلك محمد صادق في (رحلته) عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م حيث قال: " وعند موسم الحج تأتي إليها العرب للتجارة وأما في غير أوان الحج فلا يوجد بها شيء وتصير كالخراب"<sup>٢٦٢</sup> ، مما جعل الكثير من سكانها

<sup>٢٥٥</sup> أحمد محمد ، رحلات الحج ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ .

<sup>٢٥٦</sup> حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ١٢١؛ محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي ، ص ١٤ .

<sup>٢٥٧</sup> حمد الجاسر ، المرجع السابق ، ص ٩٢ .

<sup>٢٥٨</sup> علي الصلابي ، عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية ، ص ٥١٠ - ٥١٦ .

<sup>٢٥٩</sup> أعمدة الحكمة السبعة ، ص ١٣٣ .

<sup>٢٦٠</sup> حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ٤٠ - ٤٣ .

<sup>٢٦١</sup> انظر : أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٥٨٨ - ٥٨٩ .

<sup>٢٦٢</sup> دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة ، ص ٢٩ .

يهاجرون عنها بحثاً عن الأمن والرزق<sup>٢٦٣</sup>، حيث يذكر ذلك عثمان حافظ " وقد حُرمت ينبع من مجهود ونشاط كثير من أبنائها ورجالها العاملين ، بسبب الركود الذي ألم بها "<sup>٢٦٤</sup>.

إن سوء الحالة العمرانية لينبع تؤكد أثر تلك الاضطرابات السياسية ، وإهمال أمراءها في العناية بها لانشغالهم بالفتن والصراعات ، فكتب (الرحلات) مليئة بالنصوص والشواهد التي تشير إلى ذلك ، فهذا دومنجو باديا الذي زار ينبع عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م يصف مبانيها بقوله : " وبيوتها منخفضة بسقوف مستوية وكلها تقريباً تتكون من طابق أرضي فقط ، باستثناء القليل منها التي تحوى أكثر من طابق مبنية من حجر جيرى ناصع البياض<sup>٢٦٥</sup> بينما يرى بوركهات الذي مر بها عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م " أن المنازل بنيت بشكل أسوأ منه في أي مدينة أخرى في الحجاز ، وان لون الحجارة الناصع البياض قد جعل من منظر المدينة أمراً مزعجاً للنظر "<sup>٢٦٦</sup>.

ويصف ليون روش أبنية ينبع البحر حينما زارها عام ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م بقوله: " وشيدت المنازل عموماً على نحو غير متقن من أحجار ضاربة إلى البياض ذات مظهر تعس ، وهي تتألف من طابق وحيد ، وتخلوا المدنية من أي أوابد أثرية باستثناء مسجدين أو ثلاثة عمارتها عمارة متواضعة وقصر ( ياللسخرية ! ) الحاكم التركي "<sup>٢٦٧</sup>

ويتفق معهم بيرتون الذي زار ينبع عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م ، ويزيد عنهم في وصف السوق بأنه " شارع ضيق مسقوف بسقف النخيل وبضعه دكاكين قليلة على جانبي الطريق تمثل جزءاً من بيوت أصحابها "<sup>٢٦٨</sup> ، بينما يجد جيل كورتلون أن شوارعها فقيرة وأسواقها متسخة<sup>٢٦٩</sup>.

أما شارل ديدييه الذي زارها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، فقد وصفها بقوله : " رأيت عدداً من البيوت الخربة التي لا يكلف

<sup>٢٦٣</sup> محمد الحارثي ، ينبع موطن آل علي بن أبي طالب ﷺ ، ص ١٤ .

<sup>٢٦٤</sup> صور وذكريات عن المدينة المنورة ، ص ٢٢٩ .

<sup>٢٦٥</sup> رحالة أسباني في الجزيرة العربية ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

<sup>٢٦٦</sup> رحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٤٨ .

<sup>٢٦٧</sup> اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ .

<sup>٢٦٨</sup> محمد الشريف ، المختار من الرحلات الحجازية ، رحلة بيرتون ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .

<sup>٢٦٩</sup> رحلتى إلى مكة المكرمة ، ص ١٣٢ .

الناس أنفسهم كما هي العادة في البلاد الإسلامية عناء إصلاحها وإزالة أنقاضها التي تضى على تلك المدن هيئة كئيبة " ٢٧٠ .

إضافة إلى أن المياه في ينبع قد بدأت تنضب في أواخر القرن الثالث عشر الهجري<sup>٢٧١</sup>، وأن الدولة العثمانية لم تكن حريصة لتأمين الماء لأهل ينبع، حيث قدم أهالي ينبع في عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م استرحاماً للدولة لإمدادهم بآلة بخارية " تعرف بكنداسة " تكرر لهم المياه<sup>٢٧٢</sup> .

كان اعتماد أهالي ينبع على صهاريج المياه التي يجمعونها من الأمطار<sup>٢٧٣</sup>، والتي وصفها سادلير في (رحلته) عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٩م " بأن بناءها سيئ وغير صالحة لحفظ الماء بصورة جيدة " ٢٧٤، وقد نتج عن ذلك أن ارتفعت أسعار بيع الماء<sup>٢٧٥</sup>، وفي ذلك قال محمد يحيى الولائي الذي مكث بينبع خمس ليال في عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م :

وللمنازل غلات مشددة والماء في قصر ينبع بأثمان

وللطعام مقام العز والشأن

وللمنازل غلات مشددة

على الغريب بأثمان وذبان

فاحذر مقاماً بينبع نزلت به وأقصد لجدة أهل الفضل والأعيان<sup>٢٧٦</sup> .

ويرى عبد العزيز دولتشين الذي مر بينبع عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م أن ينبع من أسوأ مدن الحجاز من حيث التجهيز بالمرافق، حيث لا يوجد بها مستشفى ولا حتى صيدلية أو طبيب<sup>٢٧٧</sup>، على الرغم من أن الدولة العثمانية أنشئت حجر صحي للحجاج بها<sup>٢٧٨</sup>، وعندما مر بها الكابتن آرثل وافل عام

<sup>٢٧٠</sup> رحلة إلى الحجاز، ص ١٥٤ .

<sup>٢٧١</sup> محمد صادق، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة، ص ٢٩؛ أحمد محمد، الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ج ٣، ص ٢٣٠ .

<sup>٢٧٢</sup> إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ٢، ص ١٥ .

<sup>٢٧٣</sup> بوركهارت، رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٨٣؛ ليون روش، اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، ج ١، ص ٥٦؛ أيوب صبري، موسوعة مرآة الحرمين، ج ٥، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

<sup>٢٧٤</sup> رحلة عبر الجزيرة العربية، ص ١٢٧ .

<sup>٢٧٥</sup> محمد صادق، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة، ص ٢٩؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ٢، ص ١٥ .

<sup>٢٧٦</sup> أحمد محمد، رحلات الحج، ج ٢، ص ١٩ .

<sup>٢٧٧</sup> الحج قبل مئة سنة، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

<sup>٢٧٨</sup> سميرة بلسود، ميناء ينبع ورابع، ص ١٥٥ .

١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م قال : " ومن الغريب أنك لا تجد سكناً لائقاً في هذه الأماكن، ولو أن أحداً أقام فندقاً هنا أو جدة لكان ربحه كبيراً<sup>٢٧٩</sup> ونتيجة لعدم الاهتمام بنظافة مدينة ينبع<sup>٢٨٠</sup>، ولوجود مستودع الحبوب الذي بنته الدولة العثمانية لتخزين الغلال حتى يتم نقلها إلى المدينة المنورة<sup>٢٨١</sup>، فقد اشتهرت ينبع بانتشار الذباب، التي لم تغفل عن ذكرها كتب (الرحلات)<sup>٢٨٢</sup>، فقد كانت مصدر إزعاج لكلا من أهلها وزوارها، ويشير إلى ذلك بوركهارت في (رحلاته) عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م " أن المقام كان بها محتملاً لولا أسراب الذباب الهائلة التي تتخذ لها من هذا الساحل مأوى، فلا أحد يخرج من بيته دون أن يحمل مروحة من الخوص في يده ليذب عن نفسه هذه الحشرات"<sup>٢٨٣</sup>.

ولعل أفضل توصيف لحال الحشرات في ذلك الوقت ما أورده الشاعر البيتي في قصائده عن ينبع حينما عمل بها في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، إذ يقول في إحدى قصائده :  
نحن بالساحل من ينبع في المحنة قد ولينا مقعد الكذب ولكن أي مقعد .  
والكد

خدمة لو كان فيها الملك كنافية نزه  
في بلاد لا ترى فيها سوى الراحة تفقد  
وبها الجرذان والذباب كالجنود  
والندي والكل والأوساخ والطين  
المليد<sup>٢٨٤</sup>

وهكذا نجد أن الاضطرابات السياسية المتمثلة في صراع الأشراف على إمارة مكة المكرمة، وظهور الدولة السعودية وحملات محمد علي باشا، وتمرد القبائل، كانت عوامل مؤثرة في ينبع، إذ كانت ينبع منشأً ومقرراً للأشراف، ومركزاً للجنود والقوات والحاميات العسكرية، نظراً لموقعها الاستراتيجي والحيوي، إضافة إلى ضعف الدولة العثمانية، وعدم اهتمامها بالشؤون الداخلية للحجاز .

<sup>٢٧٩</sup> أحمد محمد، الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ج ٣، ص ٢٣٠ .

<sup>٢٨٠</sup> سعد الرفاعي، ينبع بين رحلتين، ص ٢٩٣ .

<sup>٢٨١</sup> حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٩٧؛ عبد الكريم الخطيب، تاريخ ينبع، ص ٧٥ - ٧٦ .

<sup>٢٨٢</sup> انظر : شارل ديبويه، رحلات إلى الحجاز، ص ١٥٦-١٥٧؛ محمد صادق، دليل الحج للوارد

إلى مكفو المدينة، ص ٢٩؛ أحمد محمد، رحلات الحج، ج ٢، ص ١٩ .

<sup>٢٨٣</sup> رحلات إلى شبة الجزيرة العربية، ص ٣٨٨ .

<sup>٢٨٤</sup> محمد المغربي، أعلام الحجاز، ج ٣، ص ٢٢٠ .

إن هذه الصراعات السياسية قد اثمرت في انشغال أشرف مكة المكرمة وأمراء ينبع بها ، وانصرافهم عن الاهتمام بالمدينة ؛ مما نتج عنها ضعف الأمن ، وخوف الأهالي وسوء الحالة العمرانية ، وتدهور الحياة الاقتصادية .

### المصادر و المراجع :

#### أولاً : الوثائق :

- ١- وثيقة رقم ٦ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف **D A H . E . 2112.I** ، تاريخ أوائل رمضان ١١٣٨ هـ ، الرياض : دار الملك عبد العزيز .
  - ٢- وثيقة رقم ٨٣ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف **H. H . 27424** . تاريخ ٢٣ شعبان، ١٢٤٣ هـ ، الرياض : دار الملك عبد العزيز .
  - ٣- وثيقة رقم ٦٥ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف **Ayniyatdeft.NO.877** . **S . Y . G** ، تاريخ ١٤ ربيع الثاني، ١٢٩٥ هـ ، الرياض : دار الملك عبد العزيز .
  - ٤- وثيقة رقم ٨٨ ، الأرشيف العثماني ، تصنيف **I.MEC.MAH . 2896** . تاريخ ١٢ جماد الآخرة ١٢٩٥ هـ ، الرياض : دار الملك عبد العزيز .
  - ٥- وثيقة رقم ٢٠٠ ، محفظة ٢٧٠ عابدين ، تاريخ ١٣ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ ، القاهرة : دار الوثائق المصرية .
- ثانياً : المصادر :
- ١- إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ( القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ) .
  - ٢- ابن خلدون ، عبد الرحمن : العبر و ديوان المبتدأ أو الخبر ( بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٩ م )
  - ٣- ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، تنسيق : علي شير ( بيروت : دار أحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م ) .
  - ٤- ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف ( بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٥ م ) .
  - ٥- أحمد الدحلان : تاريخ أشرف الحجاز ، تحقيق : محمد أمين ( بيروت : دار الساقى ، ١٩٩٣ م ) .
  - ٦- أحمد الرشدي : حسن الصفا والابتهاج ، تحقيق : ليلي عبد اللطيف ( القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠ م ) .
  - ٧- أيوب صبري : موسوعة مرآة الحرمين الشريفين ، ترجمة : محمد حرب ( مصر : دار الأفاق العربية ، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م ) .
  - ٨- البنتوني ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية ( ط ٣ ، الطائف : مكتبة المعارف )

- ٩- البكري ، أبي عبيد : معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق: مصطفى السقا ، ( القاهرة : لجنة التأليف والنشر ، ١٣٧١هـ = ١٩٥١م ) .
- ١٠- بوركهارت ، جون لويس :
- ١- رحلات إلى شبة الجزيرة العربية ، ترجمة : هتاف عبد الله ( بيروت : الانتشار العربي )
- ٢- مواد لتاريخ الوهابيين ، ترجمة : عبد الله العثيمين ، جامعة الملك سعود .
- ١١- توماس أدوارد لورانس : أعمدة الحكمة السبعة ، ترجمة : محمد نجار ( عمان : الأهلية ، ١٩٩٨م ) .
- ١٢- الجبرتي ، عبد الرحمن : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ( بيروت ، دار فارس ) .
- ١٣- الجزيري ، عبد القادر : درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج ( إعداد : حمد الجاسر ، الرياض : دار اليمامة ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م ) .
- ١٤- جورج فالين : رحلات فالين إلى جزيرة العرب ، ترجمة : سمير سليم ، ( ط١ ، بيروت : دار الوراق ، ٢٠٠٨م ) .
- ١٥- جيل كورتلون : رحلتي إلى مكة المكرمة ، ترجمة : محمد الحناش ( ط١ ، الرياض : مؤسسة التراث ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م ) .
- ١٦- الحسن الهمداني : صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد الحوالي ( صفاء : مكتبة الإرشاد ، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م ) .
- ١٧- الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ( بيروت : دار صادر ) .
- ١٨- دومنجو باديا : رحالة أسباني في الجزيرة العربية ، ترجمة : صالح السندي ( الرياض : دار الملك عبد العزيز ، ١٤٢٩هـ ) .
- ١٩- السمهودي ، علي : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، تحقيق : محمد عبد الحميد ( بيروت : ١١٧٤هـ ) .
- ٢٠- سنوك هورخرونية : صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ترجمة : علي الشيوخ ( الرياض : دار الملك عبد العزيز ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م ) .
- ٢١- شارل ديدويه : رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من ق ١٩م / ١٨٥٤ ، ترجمة : محمد البقاعي ( الرياض : دار الفيصل الثقافية ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م ) .
- ٢٢- عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى ، تحقيق : صلاح الدين خليل ( القاهرة : دار القاهرة ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م ) .
- ٢٣- عبد العزيز دولتشين : الحج قبل مئة سنة ، تحقيق : يفيم ريزفان ، ( ط٣ ، بيروت : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م )
- ٢٤- عبد الغني النابلسي : الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز ، تقديم : أحمد هردي ، ( مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م ) .

- ٢٥- عبد الملك العصامي : سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي (المكتبة السلفية) .
- ٢٦- عبد الله غازي ، إفادة الأنام بذكر بلد الله الحرام ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش، ( ط ١ ، مكة : مكتبة الأسد ، ١٤٣٠ = ٢٠٠٩ م ) .
- ٢٧- عثمان بن بشر : عنوان المجلد في تاريخ نجد ، تحقيق : عبد الرحمن آل الشيخ، ( ط ٢ ، وزارة المعارف السعودية ، ١٣٩١ هـ ) .
- ٢٨- الفاسي ، تقي الدين : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق ، عمر عبد السلام، ( ط ١ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م ) .
- ٢٩- فورستر سادليير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م ، ترجمة: أنس الرفاعي ، تحقيق : سعود العجمي ( ط ٢ ، بومباي : مطبعة الثقافة الاجتماعية ، ١٤٢٦ هـ ) .
- ٣٠- الفيروز أبادي ، محمد مجد الدين : المغانم المطابة في معالم المرطابة ، تحقيق : حمد الجاسر ( ط ١ ، الرياض : دار اليمامة ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م )
- ٣١- القلقشندى، أحمد بن على : صبح الأعشى في صناعة الأنشا (القاهرة : ١٩١٩ م) .
- ٣٢- ليون روش : اثنتان وثلاثون في رحاب الإسلام ، ترجمة : محمد البقاعي، ج ١ ( ط ١ ، لبنان : جداول ، ٢٠١١ م ) .
- ٣٣- محمد صادق باشا : دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج (مصر: المطبعة الأميرية ، ١٣١٣ هـ = ١٨٩٦ م) .
- ٣٤- المقرئزي ، تقي الدين أحمد : السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر : محمد زيادة ( ط ٢ ، القاهرة : لجنة التأليف والنشر ) .
- ٣٥- موريس تاميزيه : رحلة في بلاد العرب والحجاز ، ترجمة : محمد آل زلفة، ( ط ١ ، الرياض : دار بلاد العرب ، ١٤٢١ هـ ) .
- ٣٦- النهروالي ، محمد أحمد : الإعلام بأعلام بلد الله الحرام ( د . ت ) .

ثالثاً : المراجع :

- ١- أحمد البرادعي : المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي ، ( ط ١ ، ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م ) .
- ٢- أحمد السباعي : تاريخ مكة ( الرياض : الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م ) .
- ٣- أحمد محمد محمود : ١- رحلات الحج ( جمهرة الرحلات ) ، ج ٢ ، ( ط ١ ، الدار السعودية ، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م ) .
- ٢- الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ج ٣ ، ( ط ١ ، جدة : المطبعة المحمودية - الدار السعودية ، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م ) .
- ٤- إسماعيل ياغي : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ( الرياض : العبيكان ، ١٤١٦هـ ) .
- ٥- تنيضب الفايدي : صيد الذاكرة الباصرة من آثار الوطن الحبيب ( المدينة المنورة : ١٤٣٢هـ ) .
- ٦- جيرالد دي غوري : حكام ، ترجمة : رزق الله بطرس ( ط ١ ، بغداد : بيت الوراق ، ٢٠١٠م ) .
- ٧- حسام محمد عبد المعطى : العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر ( الهيئة المصرية العامة لكتاب ، ١٩٩٩م ) .
- ٨- حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ( ط ٣ ، القاهرة : دار الأفاق العربية ، ١٣٧٥هـ ) .
- ٩- حمد الجاسر : بلاد ينبع - لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة ( الرياض : دار اليمامة ) .
- ١٠- زكريا قورشون : العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني " ١٧٤٥-١٩١٤م ، ( ط ٢ ، الدار العربية للموسوعات ، ٢٠١٠م ) .
- ١١- سعد حسين : الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ ( ط ١ ، ١٩٩٢م ) .
- ١٢- سعد الرفاعي : ينبع بين رحلتين ( بيرتون ، ديدويه ) ق ١٣هـ / ١٩م ، مجلة الأطم ( س ١٣ ، ع ٣٩ - ٤٠ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ / مارس ٢٠١١م )
- ١٣- سليمان الغنام : سياسة محمد علي باشا التوسعية ( ط ٢ ، المغرب : المركز الثقافي العربي ، ١٤٢٤هـ ) .
- ١٤- سيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ( ط ١ ، جدة : تهامة ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م ) .
- ١٥- صالح السيد : ملامح من تاريخ ينبع ، ( ينبع الصناعية ، ١٤٢٥هـ ) .
- ١٦- عاتق البلادي : ١- معجم معالم الحجاز ( ط ١ ، دار مكة المكرمة للنشر ، ١٤٠٠هـ ) .

- ٢- قلب الحجاز ( ط٢ ، دار مكة للنشر ، ١٣٤١هـ = ١٩٩٣م ) .
- ٣- نسب حرب ( ط٣ ، دار مكة للنشر ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م ) .
- ١٧- عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ( ط٢ ، المدينة المنورة ، ١٤١٤هـ ) .
- ١٨- عبد الرحيم عبد الرحمن: ١- من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي ( دار الكتاب الجامعي ، ١٩٨٣م ) .
- ٢- محمد علي وشبة الجزيرة العربية ( ط٢ ، القاهرة : دار الكتاب الجامعي ، ١٩٨٦م )
- ١٩- عبد الكريم الخطيب : تاريخ ينبع ( ط١ ، الرياض : مطابع الشرق الأوسط ، ١٤٠٥هـ ) .
- ٢٠- عبد الله العيثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية ، ( ط٦ ، الرياض : العبيكان ، ١٤١٦هـ ) .
- ٢١- عثمان حافظ : صور وذكريات عن المدينة المنورة ( ط١ ، نادي المدينة الأدبي ، ١٤٠٣هـ ) .
- ٢٢- علي السليمان : ١- العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ( القاهرة : الشركة العربية ، ١٣٩٣هـ ) .
- ٢- النشاط التجاري في شبة الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى ( ط٢ ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م ) .
- ٢٣- علي الصلابي : عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية ( الشارقة : مكتبة الصحابة ، ١٤٢٢هـ ) .
- ٢٤- فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ( ط٢ ، الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ ) .
- ٢٥- محمد الجهني : جهينة ماضيها وحاضرها ( القاهرة : دار غريب ، ١٤٢٧هـ ) .
- ٢٦- محمد حسين الحارثي : ينبع موطن آل علي بن أبي طالب عليه السلام ، بحث منشور ( د . ت )
- ٢٧- محمد الرويثي : ١- المواني السعودية على البحر الأحمر ( ط٢ ، القاهرة : مطبعة المدني ، ١٤٠٤هـ ) .
- ٢- التطور المكاني والتاريخي لمواني شبة الجزيرة العربية ( ط١ ، المدينة المنورة : ١٤١٥هـ ) .
- ٢٨- محمد الشريف : المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ( ط١ ، جدة : دار الأندلس الخضراء ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م )
- ٢٩- محمد المغربي : أعلام الحجاز ، ج٣ ( ط٢ ، جدة : دار البلاد ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م ) .

٣٠- مساعد بن منصور الحسيني : جداول أمراء مكة وحكامها منذ الفتح إلى الوقت الحاضر ( ط٢ ، مكة المكرمة : ١٤٢٢ هـ ) .

٣١- وليم أوكسنولد : الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب " الحجاز تحت الحكم العثماني ، ١٨٤٠-١٩٠٨ م " ، ترجمة : عبد الرحمن العرابي ( ط١ ، جدة : مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م ) .

#### رابعاً : الرسائل العلمية :

١- إلهام سراج أكبر : بلاد ينبع دراسة تاريخية حضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة أم القرى ، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م .

٢- أمينة جلال : طرق الحج ومرافقة في الحجاز في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة أم القرى .

٣- سميرة بلسود : ميناء ينبع و رابغ فيما بين عامي ١٢٥٦-١٣٧٣ هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة أم القرى ، ١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م .

٤- محمد حسين الحارثي : الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٢ هـ .